# رسائل للإمام
# الحافظ جلال الدين السيوطي

إعتنى به
راشد الخليلي



# رسائل

## للإمام الحافظ
## جلال الدين السيوطي

اعتنى به

راشد الخليلي


المكتبة العصرية
صيدا - بيروت



صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

**الطبعة الأولى**

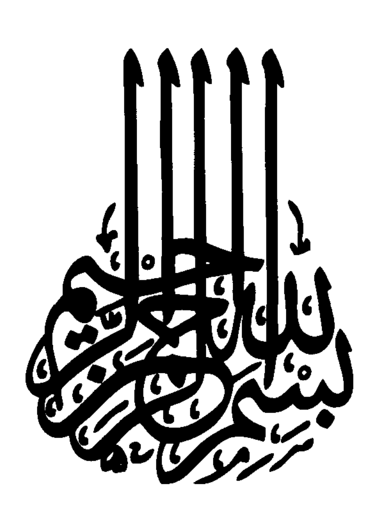
**٢٠٠٩م - ١٤٣١هـ**



E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

**موقعنا على الإنترنت**

www.almaktaba-alassrya.com


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقامة السندسية في النسبة المصطفوية

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. نبي سري[1] قدوة عليّ، وبرهانه جلي، خير الخليفة أماً وأباً، وأزكاهم حسباً ونسباً، خلق اللّه لأجله الكونين، وأقرّ به من كل مؤمن العينين، وجعله نبي الأنبياء وآدم منجدل في طينته[2]، وكتب اسمه على العرش إعلاماً بمرتبته عنده وفضيلته، وتوسل به آدم فتاب عليه، وأخبره أنه لولاه ما خلقه وناهيك بها مزية لديه!

نبي خص بالتقديم قدماً ... وآدم بعد في طين وماء
كريم بالحياة من راحتيه ... يجود وفي المحيا[3] بالحياء

ومن خصائصه فيما ذكر الغزالي وغيره أن اللّه ملكه الجنة، وأذن له أن يقطع منها من يشاء ما يشاء وأعظم بذلك منة، وخصه بطهارة النسب تعظيماً لشأنه، وحفظ آباءه من الدنس تتميماً لبرهانه، وجعل كل أصل من أصوله خير أهل زمانه: كما قال في حديث البخاري الذي نقطع بصدوره من فيه: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه».

وقال عليه السلام: «أنا أنفسكم نسباً، وصهراً وحسباً، لم يزل اللّه ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً، لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً». وأجدر بقول صاحب البردة، أن يكون له في عرصات القيامة عدة:

(١) السري: صاحب المروءة في شرف أو السخاء في مروءة.
(٢) ملقى على الأرض الصلبة في أول خلقته.
(٣) الوجه.

وبدا للوجود منك كريم ... من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العُلى بحلاه ... قلدتها نجومها الجوزاء[١]
حبذا عقد سؤدد وفخار ... أنت فيه اليتيمة[٢] العصماء

وينظم في سلك هذه الدرر، قول حافظ العصر، أبي الفضل ابن حجر:

نبي الهدى المختار من آل هاشم ... فعن فخرهم فليقصر المتطاول
تنقل في أصلاب قوم تشرفوا ... به مثل ما للبدر تلك المنازل

وقد ورد أن قريشاً كانت نوراً بين يدي اللّه تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه عليهم الصلاة والسلام، ثم ألقى ذلك النور في صلب آدم وهو الدرة الفاخرة، قال: ثم لم يزل اللّه ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة؛ ويشهد لذلك بالاستيناس، ما أنشده إياه عمه العباس - رضي اللّه عنه -:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين، وقد ... ألجم نسراً[٣] وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بينك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر ... ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي ... النور وسبل الرشاد نخترق

وأخذ الميثاق على النبيين إن جاءهم أن يؤمنوا به وينصروه، ولو أدركوه لما وسعهم إلا أن يتبعوه ويعزروه ويوقروه، وأرسله إلى جميع الخلق كافة، من الإنس والجن والملائكة الصافة.

قال البارزي: وأدخل في دعوته الحيوانات والجمادات والحجر والشجر، وقال السبكي: هو مرسل إلى كل من تقدم من الأمم وغبر، قال: فجميع الأنبياء وأممهم كلهم من أمته، ومشمولون برسالته ونبوته، ولذلك يأتي عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان على شريعته، فجميع الشرائع التي جاءت بها الأنبياء شرائعه

---

(١) الجوزاء: نجم.
(٢) اليتيمة: الثمينة التي لا نظير لها.
(٣) نسر: صنم من أصنام قوم نوح عليه السلام، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

ومنسوبة إليه، فهو نبي الأنبياء وما جاؤوا به إلى أممهم أحكامه في الأزمنة المتقدمة عليه. هكذا قرره ذلك الإمام الحبر الذي لا تكاد تسمح الأعصار له بنظير، وأفرد له تأليفاً مستقلاً حقه أن يرقم على السندس بالنضير[١]، ويوافقه من النظم النضيري، قول الشرف البوصيري:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للناس في الظلم
وكلهم من رسول اللَّه ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
وواقفون لديه عند حدهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

وأجرى على يديه من المعجزات ألوفاً جملة، وآتاه من الخصائص ما لم يؤته نبياً قبله؛ وكان مما نسب من المعجزات والخصائص إليه، إحياؤه حتى آمنا به أبويه؛ وما زال كلام أهل العلم والحديث، في القديم والحديث؛ يروون هذا الخبر وبه يسرون، وينشرونه بين الناس ولا يسرون؛ ويجعلونه في عداد الخصائص والمعجزات، ويدخلونه في حيز المناقب والمكرمات؛ ويرون أن ضعف إسناده في هذا المقام مغتفر، وأن إيراد ما ضعف في الفضائل والمناقب معتبر؛ وقد خرجت الأئمة في أبواب المناقب ما هو أشد ضعفاً من هذا، وتسامحوا فيها بإيراد ما لم يصل إلى رتبته ولا حاذى؛ ووجهوه بأنواع من التوجيه، وارتضوه لما فيه من التبرئة والتنزيه.

فقال القرطبي: إن فضائل النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى إلى حين مماته، وتتابع إلى وقت وفاته؛ فيكون هذا مما فضله اللَّه وأكرمه فضلاً، وليس إحياؤهما بممتنع شرعاً ولا عقلاً.

وقال ابن سيد الناس: ذكر بعض أهل العلم أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية، صاعداً في الدرجات العلية؛ إلى أن قبض اللَّه روحه الطاهرة إليه، وأزلفه بما خصه به لديه، من الكرامة حين القدوم عليه؛ فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له بعد أن لم تكن، وأن الإحياء والإيمان متأخر عن تلك الأحاديث فلا تعارض.

وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي:

حبا اللَّه النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفاً
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

---

(١) النضير: الذهب والفضة.

وبعض الأساطين أيده وشيده، وأكده وأطده، وقواه وشدده، ومهد طريقه وسدده؛ بأنه وافق القاعدة التي اتفقت عليها الأمة كلها، أنه لم يؤت نبي معجزة أو خصيصة إلا وقع لنبينا مثلها؛ وقد أوتي عيسى ـ عليه السلام ـ إحياء الموتى من القبور، فلا بد أن يكون له نظيره وليس إلا هذه القصة في ما اشتهر من المأثور؛ وإن كان وقع له من هذا النمط نطق الذراع، وحنين الخشبة من الأجذاع، فإن قصة الأبوين أقرب إلى المماثلة، وأنسب بالمشاكلة؛ ومن الأصول المحررة، أن الحديث الضعيف يتقوى بموافقة القاعدة المقررة.

وذهب المحققون في شأنهما إلى ما هو أقوى مدركاً، وأصح مسلكاً؛ وهو أن حكمهما حكم من لم تبلغه الدعوة من أهل الفترة، إذ لم يثبت أنهما دعيا وعاندا وكل مولود يولد على الفطرة، مع ضميمة أنهما قبضا في أوان الشباب، ولم يبلغا سن من بلغ الأحقاب[1]؛ فلم يسع عمرهما الوقوف على الأخبار بالإخبار من الأحبار، والفحص عنها إلى الأسفار بالإسفار إلى حملة الأسفار.

وقد ورد في أهل الفترة أحاديث صحاح وحسان، بأنهم موقوفون للامتحان، بين يدي الملك الديان، فمن سبقت له السعادة أطاع ودخل الجنان، ومن سبقت له الشقاوة عصى وأدخل النيران؛ ومن هنا نشأت قاعدة من لم تبلغه الدعوة، فأطبق على نجاته من له بمذهب الإمامين الشافعي والأشعري قدوة.

وأجابوا عن الأحاديث التي بعضها في صحيح مسلم، بأنها منسوخة بالأدلة التي بنوا عليها قاعدة شكر المنعم؛ وقد أوردوا على ذلك من التنزيل أصولاً:

منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى في بيان أنه لا يعاقب أحداً قبل البعثة ولا يجزي: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

وقال تعالى في سورة طسٓمٓ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [القصص: ٢]. ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧].

وقال تعالى في هذه السورة وبه استدل العالمون: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

---

(١) الحقب: السنون.

وقال تعالى في عدم تكليف الغافل وبه قال الناقلون: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

وقال تعالى في هذه السورة وهو أصدق القائلين: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦].

وقال تعالى في سورة الشعراء تنبيهاً للعالمين: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ * ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩].

وقال تعالى قطعاً لعذر الكفار حيث لا يجدون في النار من نصير: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

وبالجملة فهذه القاعدة مقطوع بها عندنا في الفقه والأصول، مستغنية لشهرتها عن أن يورد فيها شيء من النقول؛ ونظير هذا نسخ تعذيب أطفال المشركين بما هو أحرى، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وعلى هذا التخريج يحمل ما لوح به حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود ـ رضي اللّه عنه ـ أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم سئل عن أبويه فقال: ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم المقام المحمود؛ فلوّح بأنه يرتجي لهما في ذلك المقام الشفاعة، وليست إلا في التوفيق عند الامتحان للطاعة؛ وعلى ذلك يحمل حديث ابن عمر ـ رضي اللّه عنهما ـ فيما رواه تمام في فوائده المروية: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي وأخ لي كان في الجاهلية، والمراد أخوه من الرضاعة وهو ابن حليمة السعدية.

وقد تأوله المحب الطبري في حق عمه على أنها شفاعة في التخفيف كما في مسلم، ولا بد من هذا التأويل في حقه لأنه أدرك البعثة ولم يسلم؛ وسلك الإمام فخر الدين الرازي مسلكاً آخر في غاية التبجيل والتعظيم، فقال: إنهما لم يكونا مشركين بل كانا على التوحيد وملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ؛ وزاد أن أجداده صلى اللّه عليه وآله وسلم كلهم إلى آدم ـ عليه السلام ـ كذلك، سالكون من التوحيد في أقوم المسالك.

واستدل بما في التنزيل الذي هو قوة عين العابدين، ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] فذلك صفة الكافرين؛ وقد قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين».

وقد استقريت أحوال أجداد سيد بني قصي، فوجدتهم مؤمنين متقين من

آدم - عليه السلام - إلى مرة بن كعب بن لؤي؛ إلا أنه يستثنى منهم آزر إن كان والد إبراهيم - عليه السلام -؛ وإن كان عمه كما رجحه الإمام وقال به جماعة من السلف فالأمر على التعميم.

وقد صحت الآثار الواردة بأنه لم يكن بين آدم ونوح - عليهما السلام - نسمة جاحدة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣].

وفي التنزيل حكاية عن نوح - عليه السلام - داعياً مؤمناً، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨]؛ وسام بن نوح قيل: إنه نبي وولده أرفجشد صديق، وقد أدرك جده نوحاً ودعا له، وكان في خدمته نعم الرفيق.

وفي طبقات ابن سعد أن الناس من عهد نوح لم يزالوا ببابل وهم على الإسلام، إلى أن ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان فدعاهم إلى عبادة الأصنام، وأما العرب فصحت الأحاديث في البخاري وغيره ولكل راوٍ واعي، بأنه لم يكن منهم أحد مشرك من عهد إبراهيم إلى عهد عمرو بن عامر الخزاعي؛ فهو أول من عبد الأصنام، وغيَّر دين أبراهام[١]؛ ورآه النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم بسبب ذلك يجرّ قصبه[٢] في النار، قد نص العلماء على هذه الجملة وروتها الحملة في عدة من الأخبار.

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس - رضي اللّٰه عنهما - وهو جدير بأن يجد له في السير، قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم - عليه السلام - فلا تذكروهم إلا بخير.

وفي الروض الأنف حديث: «لا تسبوا إلياس - عليه السلام - فإنه كان مؤمناً»، وناهيك به بياناً.

وفي دلائل النبوة لأبي نعيم أن كعب بن لؤي أوصى ولده بالإيمان بالنبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم وكان ينشد إعلاناً:

يا ليتني شاهد نجواء دعوته    إذا قريش تبغي الحق خذلانا

وأما كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم، فلم أظفر فيهم في واحد من الجانبين بنقل جازم.

وأما عبد المطلب ففيه خلاف، والأشبه أنه من أهل الفترة، وممن لم تبلغه الدعوة كرة؛ وقد استشهد أولئك القبيل، بقوله في قصة أصحاب الفيل:

---

(١) هو النبي إبراهيم عليه السلام.    (٢) القصب: اسم للأمعاء كلها.

لا هم أن المرأ يمنع رحله فامنع حلالك وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقد استدل مجاهد وسفيان بن عيينة على استمرار التوحيد في ذرية أبراهام، بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وصح في تفسير ابن المنذر عن ابن جريج وهو العالم الأواه في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم - عليه السلام - ناس على الفترة يعبدون الله.

وورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد وقتادة بسند نعتمده، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] قال: الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده.

وما أحسن قول الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي:

تنقل أحمد نوراً عظيماً تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرناً إلى أن جاء خير المرسلينا

هذه خلاصة النقول والأدلة، وهي بدور مسفرة لا نجوم أو أهلة؛ شرحت صدور الأصحاب، وأشرقت إشراق الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب: فمن أم لها وتأملها، وألقى فكره لها ومالها؛ ونظر إليها منصفاً، وضح له منها ما خفي: ومن قوي عنده غير ذلك، وترجح في نظره ما هنالك؛ فدونه وما شاء دون إنكار، فليس في الاختيار ولاية إجبار، فإن كان ممن إذا نظر في الأدلة ما زها وما زها، وإذا قام قومة الرجال ما سها وما سها، فليختر لنفسه أي قول! وليركب في ترجيحه كل هول! ولينفق في نصرته من سعة ذات يده إن كان ذا طول! وإن قصر باعه وانحصر اطلاعه؛ فمد لسانه إلى البذا، وتناول بالشتم والأذى؛ فإنا لله ولا حول ولا قوة إلا بذي الطول؛ وإن رام بزعمه أن أرجع عما اخترته فلو قطعت إرباً إرباً ما رجعت، ولم أقصد سوى إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت؛ ولقد وصل إليّ عن رجل من أهل الحديث، وممن سعى فيه طول عمره السعي الحثيث؛ أنه ذكر له ما قلته فصاح، وأعرض بوجهه وأشاح وأجرى من فمه سيلاً، وجر من لسانه ذيلاً، وكسا وجه الصباح ليلاً، وكاد يطير مع بنات النعش[1]، وحاص حيصة حمر الوحش؛ ثم زأر وشزر في النظر، وكلح بوجهه وبسر، وقال فحشا وهجر، وهذى

(١) بنات نعش الكبرى: سبعة كواكب تشاهدها جهة القطب الشمالي وبقربها سبعة أخرى تسمى بنات نعش الصغرى.

في منطقة وهذر، وصرح بأنهما ـ نعوذ بالله! من أهل سقر.

وذكر أنه نزل فيهما من القرآن العظيم ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] فقلت للناقل: لم لا لجأت إلى وزر، وهل لا ألقمت فاه من كلام شيخه وهو الركن المشيد بحجر، وأطفأت النار التي أوقدها من زفر بزفر من زفر. وعلمت أنه يضرب في حديد بارد إذا ضربنا نحن في ذهب ذائب ويرمى عن وتر منقطع إذا فوقنا نحن كل سهم صائب؛ ولو أنه اقتصر على ذكر المنقول من غير سفه لم يكن عليه من بأس، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس، أفرحاً بالعلو، أم تجاوزاً إلى حد الغلو؟ أم إعظاماً لنفسه واستكباراً واحتقاراً لغيره واستصغاراً؟ أم استجاشة على مثلي واستنصاراً؟ أأتقن قاعدة شكر المنعم التي مبنى هذه المسألة عليها؟ أأحكم قاعدة التحسين والتقبيح التي مرد هذه القاعدة إليها؟ أعرف حكم الغافل من حيث التكليف؟ أدري حكم الأفعال قبل البعثة هل توصف بالتشديد أو التخفيف؟ أعلم فن الأصول وقواعد الاستدلال والترجيح عند تعارض النقول؟

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

أنسي ما بدا منه من برهة في مسألة رؤية الأنبياء يقظة؟ وما أنكره عليّ من إفتائي بإمكانها كما نص عليه الأئمة والحفظة؟ فبادر بقوله: إن ذلك مستحيل، وأخذ يغبر في الوجه الجميل، ويفرح بكثرة القال والقيل؛ وما شعر أن هذا القول يؤول إلا لمن يعذر بجهله إلى كفره، وينبىء تعالى الله علواً كبيراً عن استقصار لقدره.

ثم لما شددت عليه النكير، وبلغه أن ذلك يلزم منه ـ والعياذ بالله ـ التكفير، بدّل قوله وحوّل، وقال: إنما أنكرت دعوى الإجماع وتأول، فكان قوله الثاني أشد سوءاً من قوله الأول؛ لأن صلاحية القدرة للممكنات لا يختلف فيها اثنان ولا تتجزى، ومن لا يميز بين الجائز والمستحيل فسكوته عن الإنكار أحرى وتصديه له أخزى، وقد قلت في تلك الواقعة:

رؤية الأنبياء بعد الممات أدخلوها في حيز الممكنات
قل لمن قال إنه مستحيل أترك الخوض عنك في الغمرات
أنت لا تعرف المحال ولا الممكن لا ما بالغير أو بالذات
فاحترز أن تزل زلة كفر وتوق مواقع الزلات

ونعود إلى ما نحن فيه ليت شعري ما الذي أنكره عليّ؟ وفوّق[١] بسببه سهامه إليّ؟ أترجيح جانب النجاة؟ أما لي فيه من سلف صالح، أما تقدمني إليه من أئمة كل

(١) أي صوَّب.

منهم لو وزن بالجبال فهو عليها راجح، فإن اعتذر بعدم الوقوف كان عذره جلياً، أو بالنسيان فقد خلق الإنسان نسياً.

وما سمي الإنسان إلا لنسيه    ولا القلب إلا أنه يتقلب

وهل يستبعد على من أنجى اللّٰه به الثقلين أن ينجي به الأبوين؟

فإن استبعد هو ذلك فليست الشدة عندي بأرجح من الرخاء، وإن استكثر ذلك فإنه لبخيل حيث شح بأجمل الأمرين وهو السخاء.

شح السخاوي بالإنجاء يذكره    عن والدي سيد الأنبياء والأمم

إن عز أن يبلغ البحر الخضم روى    يا ليته يستقي من وابل الديم

أم ظن أني أقدمت على الترجيح لا لمستند؟ أو لمجرد التشهي من غير دليل معتمد - معاذ اللّٰه - بل لما قام عندي من أدلة قاطعة ساطعة ناصعة لامعة جامعة مانعة هامعة رائعة صادعة قامعة بارعة باقعة جازمة لازمة مثبتة هازمة صحيحة صريحة متعبة مريحة حاصرة فسيحة تامة عاملة كاملة شاملة كافلة حافلة، تجزم ولا تجزم وتهزم إن شاء اللّٰه تعالى ولا تُهزم كما قيل:

أتمسي القوافي تحت غير لوائنا    ونحن على قوالها أمراء؟

أم أنكر عليّ السكوت عن القول الآخر ورام مني أن أجريه على الألسنة؟ فيا سبحان اللّٰه! ما لي ولحكايته أنائم أنا أم في سِنة؟ أما أكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه؟ أما يحق لي أن أضرب بيني وبينه بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب؟

أما **أوّلاً** فلأن العلماء أرشدوا في مثل هذا إلى الصمت، وعدوه من حسن الأدب والهدى والسمت، وأمّا **ثانياً** فلأن السائل عن ذلك ممن يقر المعاد ويستطرد في الكلام، ويحضر مجلسه النساء والعوام، ومن هم بعيدو الأفهام، ومن هم حديثو عهد بالإسلام، أفأكون سبباً في وصول ذلك إلى أسماعهم؟ ووسيلة إلى تحدثهم به مع نقص أفهامهم وجفاء طباعهم؛ كلا واللّٰه! لكل مقام مقال، وما كل ما يعلم يقال.

وقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن بعض السلف قال: من كان عقله أصغر من علمه قتله علمه، ومن تكلم هدر دمه وكثر ذمه، ثم يا ليت شعري أيّ غرض لي في ذلك؟ أيتعلق به أصل من أصول الدين يخشى من السكوت عنه ضياع أو زلل؟ أم عبادة فيحصل بالصمت عنه فساد فيها أو خلل؟ أم عقد مالي فيؤدي إلى اختلاله؟ أم نكاح فرج فيفضي إلى استحلاله؟ أم دم يخاف من كتمه أن يسفك؟ أم

عرض يحذر من ستره أن يهتك؟ كلا بل الأدب مطلوب، والصمت عن كثير من الأشياء واجب أو مندوب.

ترك الأمور التي تخشى عواقبها في اللّه أحسن في الدنيا وفي الدين

وأمّا احتجاج المنكر في هذا المقام العظيم، بأنه نزل فيهما ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

فنقول: قد تقرر في علوم الحديث أن سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع، لا يقبل منه إلا الصحيح المتصل الإسناد لا ضعيف ولا مقطوع؛ وهذا السبب لا يعرف له في الدنيا إسناد صحيح متصل يذكره، والمنكر يعرف ذلك ويعترف به إذا عرض عليه ولا ينكره؛ فإن احتج في التعذيب بضعيف، فأحاديث النجاة مع كونها أمثل منه أولى بالقبول، وإن تشبث في النيران بهذا المقطوع فهلا تشبث في الجنان بذاك الموصول؛ مع ما ينضم إلى ذلك من حيث بلاغة الخطاب، إن الآيات من قبل ومن بعد كلها في أهل الكتاب، من قوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]. أولاً إلى قوله: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٢٤]. المتلوة بقوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ [البقرة: ١٢٤]، ولهذا ختمت القصة بمثل ما صدرت، وكرر نداء بني إسرائيل إيذاناً بالختم لطولها حين تقررت، فدل على أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب، الحائدون عن الإنابة والمثاب.

ويؤكد ذلك أن السورة مدنية، خوطب فيها من بني إسرائيل الذرية؛ وأكثر ما خوطب فيها اليهود، الناقضون ما في التوراة من العهود، ويشهد من المنقول ما أخرجه الفريابي وعبد بن حميد عن مجاهد أحد أئمة التنزيل، قال: من أربعين آية من سورة البقرة إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل.

ويرشح ذلك من المناسبة اللفظية والمعنوية، أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار المروية.

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك أحد التابعين الأبرار، في قوله تعالى: ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] قال: الجحيم ما عظم من النار.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤]، قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، قال: والجحيم فيها أبو جهل الحواب(١)؛ فاللائق بهذه المنزلة

(١) كثير الذنوب.

من عظم كفره، واشتد وزره؛ وعاند عن علم ويقين، وبدل ما عنده من آيات الكتاب المبين، وجحد ما يعلمه وأنكر، وحرف ما في التوراة وغير؛ وكذب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في رسالته، وهو مأمور في كتابه، بتصديقه واتباعه وطاعته، ولا يليق ذلك بأهل فترة لا علم عندهم ولا كتاب، ولا عناد ولا تبديل لشيء من الخطاب؛ فإن هذه الدركة ليست لهذا القبيل، خصوصاً من هو من المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم بسبيل أيّ سبيل.

وقد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً، لما حازه به من بره وقرابته اقتراباً؛ هذا مع امتداد عمره، وامتناعه من طاعة أمره؛ فما ظنك بأبويه اللذين هما أشد قرباً، وآكد حباً، وأقصر عمراً، وأبسط عذراً؛ فمعاذ اللّه! أن يكونا في طبقة الجحيم، وأن يشدد عليهما العذاب العظيم، هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم.

وأما قول المُنكِر أنه وردت أحاديث كثيرة في عذابهما فقد وقفت عليها بأسرها، وبالغت في جمعها وحصرها؛ وأكثرها ما بين ضعيف ومعلول، والصحيح منها منسوخ بما تقدم من النقول. أو معارض فيطلب الترجيح على ما تقرر في الأصول.

وقد أتى بعض أئمة المالكية بجواب ساطع، فقال: هذه أخبار آحاد لا تعارض القاطع، وليت شعري! ماذا يقول المنكر في أطفال المشركين، والخبر بأنهم في النار متين مبين، فإن قال بمقتضاه فقد أكبر القول وأعظم الهول، وإن قال بقول الناس، ورفع عنهم البأس؛ فقد سلم العدول عن الأخبار الواردة بأنهم في النار، وليس إلا لكونها من المنسوخ عند أهل التحقيق والرسوخ، وذلك بالشفاعة الواقعة من المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم فيهم حيث قال: «سألت ربي اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم». وقد وقع الناسخ للأطفال ومن لم تبلغهم الدعوة مقترنين نزولاً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فالجملة الأولى نسخت تعذيب الأطفال، والثانية نسخت أخبار التعذيب قبل الإرسال، فانظر إلى هذه الأسرار المودعة في تعلم القرآن، والمناسبات المبدعة في ترتيب الفرقان!

قل للسخاوي إن تعروك مشكلة    علمي كبحر من الأمواج ملتطم

فإن قال: قد تقدمت دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ قلنا: لم يثبت أنها وصلت إليهما، ولا وجد من يخبرهما بها ويكشف أمرها لديهما؛ ولو كان تقدم ذلك يمنع ما تقرر، لم يوجد في الدنيا أهل فترة في زمان محرر، فإن الأنبياء قبل عيسى ـ عليه السلام ـ مبعوثون في أقطار العالم، وما من فترة متقدمة إلا وقبلها نبي إلى آدم ـ عليه

السلام ـ وليس قبل آدم بشر يتعلق بهم أحكام، من كفر أو إسلام، أو حلال أو حرام.

فإن اعتبرنا تقدم بعثة ما وإن لم تصل إليهم، استحالت أحاديث أهل الفترة إذ لم يوجد بهذا الوصف قوم يحكم بها عليهم؛ ولا شك أن ألفاظ الحديث صريحة، ومبانيها فصيحة؛ في أن المراد بأهل الفترة من كان بعد دثور شريعة عيسى ـ عليه السلام ـ وقبل بعثة نبينا السراج المنير، وهو ظاهر من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ﴾ [المائدة: ١٩].

وقال المفسرون رأي العين، الفترة ما بين النبيين، وقال ابن جرير في هذه الآية القول الحسن، الفترة انقطاع الرسل بعد مجيئهم من فتر الأمر إذا هدأ وسكن.

وقال الجوهري في الصحاح قولاً أبانه، الفترة ما بين الرسولين من رسل اللّه سبحانه؛ فلا تكون فترة حتى يتقدمها دعوة رسول، ثم يتمادى الزمان فيدثر أمرها ويطول؛ ولفظ حديث الحاكم وهو على شرط الشيخين صحيح الإسناد، إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، ثم ذكر بقية الحديث في الامتحان وهو صريح في المراد.

وقد نص إمامنا الشافعي رضي اللّه تعالى عنه وهو بعد البعثة بمائتين من السنين، على أن في زمانه من لم تبلغه الدعوة وهم قوم وراء الصين، فإذا وجد من لم تبلغه الدعوة بعد بعثة نبينا بمائتي سنة والإسلام ظاهر والدين وافر، فما ظنك بزمن الجاهلية التي عمّ فيها الكفر والجهل طبق الأرض وغلب فيها كل كافر! وبالجملة فالمدار على بلوغ الدعوة وعدمه فمن لم تبلغه فهو ناج سواء كان قبل البعثة المحمدية أو بعدها، ومن كان في زمن الفترة وبلغته فهو في النار إذا أصر على العناد وردها.

وهذا القسم الأخير محل إجماع، ليس فيه بين أحد من الخلق نزاع، وهو الذي أشار إليه النووي في شرح مسلم، فمن عذره اللّه ورسوله فهو المعذور ومن يهن اللّه فما له من مكرم.

وقد ذكر الأبي(١) في شرح مسلم هذه المسألة فأطنب فيها وأتقن وأحكم، وقال: أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم.

---

(١) هو الإمام محمد بن خليفة الوشتاني الأبي المكي.

قال: ثم أهل الفترة فيما ذكر عقيل بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ ثلاثة أقسام:

**الأول**: من أدرك التوحيد ببصيرته سواء لم يدخل في شريعة كزيد بن عمرو بن نفيل، أم دخل في شريعة عيسى عليه السلام.

**والثاني**: من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة، ولا اخترع ديناً، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله تاركاً جميعه، قال: وفي الجاهلية من كان كذلك وهو أهل الفترة حقيقة، قال: وهم غير معذبين للقطع كما قررنا طريقه.

**والثالث**: من أشرك ولم يوحد وبدّل وغيّر، وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الأكثر؛ قال: وعلى هذا القسم يحمل من صح تعذيبه، أو يجاب بأنها أخبار آحاد لا تعارض القاطع كما تقدم تقريره وتهذيبه؛ وزاد بعض من تأخر من أهل العلم، أنه يجب إخراج الأبوين الشريفين من هذا القسم.

وقد وردت آثار أخر يستأنس بها في هذا المقام، وإن لم تكن نصاً في المرام.

كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي اللّه عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، قال: من رضي محمد عليه الصلاة والسلام أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وبهذا العموم يقضي.

وما أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوة» وغيره من حديث عمران بن حصين مرفوع المسالك: «وسألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطاني ذلك»، وعموم اللفظ وإن طرقه الاحتمال معتبر، وتوجيهه ما أشرنا إليه في الأوائل المقامة قبيل حديث ابن عمر.

ولهذا قال حافظ العصر أبو الفضل بن حجر، قولاً جامعاً بين مراعاة الأصول والأثر، الظن بآله كلهم من أهل الفترة أن يطيعوا عند الامتحان، لتقرَّ بهم عينه صلى اللّه عليه وآله وسلم في الجنان، ولو كنا نحب إيراد الأحاديث الواهيات كبعض من سلك، لأوردنا حديث: «أوحى اللّه إليّ أني حرمت النار على صُلب أنزلك وبطن حملك»، لكني لا أحتج بمثل هذا، ولا أستمطر منه وابلاً ولا رذاذاً، فإن في الأدلة القوية غنى عن واه فيه تكلم، ومهما طلع البدر استغني عن النجوم، وإذا حضر الماء بطل التيمم، والذي نقوله في أخينا هذا المُنكِر أنه غير مدفوع عن علم بالحديث ودين، وما هو عن درجة الحفظ من المبعدين، غير أنا كرهنا منه إطلاق اللسان، والتغيير في وجوه المعاني الحسان، أما ورد الحث على طيب الكلام وحفظ

الألسنة؟ ولا تستوي السيئة ولا الحسنة، جعلنا اللّه وإياه من العلماء العاملين، ونزع ما في صدورنا من غل وجمعنا في الجنة إخواناً على سرر متقابلين.

وقد أنشأت هذه المقامة وسميتها المقامة السُّنْدُسية، وخدمت بها النسبة الشريفة المصطفوية الطاهرة القدسية، ولي برهة منذ تركت الدخول في شيء من هذه الأمور غير محصورة، ولكني لم يسعني التخلف عن هذه القضية فجعلتها كالمستثناة للضرورة، وقد رجوت لها الفوز بجنات النعيم، وتوصلت إلى مرضاة هذا النبي الكريم، المحبو بالتبجيل والتكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وأتحفت بها كل ذي ذهن قويم، وطبع سليم، وفوق كل ذي علم عليم، فإن تولوا فقل حسبي اللّه، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

* * *

وفي الختام ندعو اللّه سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. وصلى اللّه على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين. . .

بسم الله الرحمن الرحيم

# الدرج المنيفة
# في
# الآباء الشريفة

الحمد للَّه وسلام على عباده الذين اصطفى، هذا ثالث مؤلف ألفته في مسألة والدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وهو أخصرها وأوجزها.

فأقول: ذهب جمع كثير من الأئمة الأعلام إلى أنهما ناجيان ومحكوم لهما بالنجاة في الآخرة، وهم أعلم الناس بأقوال من خالفهم وقال بغير ذلك، ولا يقصرون عنهم في الدرجة، ومن أحفظ الناس للأحاديث والآثار، ومن أنقد الناس للأدلة التي استدل بها أولئك، فإنهم جامعون لأنواع العلوم متضلعون من الفنون خصوصاً الأربعة التي يستمد منها في هذه المسألة، فإنها مبنية على ثلاث قواعد: كلامية وأصولية وفقهية، وقاعدة رابعة مشتركة بين الحديث وأصول الفقه مع ما يحتاج إليه من سعة الحفظ في الحديث وصحة النقد له، وطول الباع في الاطلاع على أقوال الأئمة وجمع متفرقات كلامهم. فلا يظن بهم أنهم لم يقفوا على الأحاديث التي استدل بها أولئك: معاذ اللَّه! بل وقفوا عليها وخاضوا غمرتها وأجابوا عنها الأجوبة المرضية التي لا يردها منصف، وأقاموا لما ذهبوا إليه أدلة كالجبال الرواسي: والفريقان أئمة أكابر أجلاء.

وقد اختلف القائلون بالنجاة في مدرك ذلك على ثلاث درجات:

**الدرجة الأولى:** أنهما لم تبلغهما الدعوة، لأنهما كانا في زمن فترة عمَّ الجهل فيها أهل المشرق والمغرب، فلم يكن إذ ذاك أحد يبلغ الدعوة على وجهها ولا يدري شيئاً من الشرائع، مع ضميمة أنهما قُبضا في حداثة السن ولم يبلغا سناً يحتمل الوقوف على الأخبار والفحص عنها بالأسفار، فإن والده صلى اللَّه عليه وآله وسلم صحح الحافظ صلاح الدين العلائي أنه عاش نحو ثماني عشرة سنة، ووالدته عاشت نحو العشرين تقريباً مع زيادة أنها مخدرة مصونة

محجوبة في البيت لا تجتمع بالرجال، ولا تجد من يخبرها.

وإذا كان النساء اليوم مع فشو الإسلام والفقه شرقاً وغرباً لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء، فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة؟!

وحكم من لم تبلغه الدعوة باتّفاق الأئمة الشافعية من الفقهاء والأئمة الأشاعرة من أهل الكلام وأصول الفقه أنه يموت ناجياً ويدخل الجنة، وعلى ذلك الإمام الشافعي رحمه اللّه وتبعه سائر الأصحاب.

واستدلوا على ذلك بثمان آيات من القرآن:

**الآية الأولى**: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

**الآية الثانية**: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

**الآية الثالثة**: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧].

**الآية الرابعة**: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

**الآية الخامسة**: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٥٩].

**الآية السادسة**: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٥، ١٥٦].

**الآية السابعة**: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ * ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩].

**الآية الثامنة**: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

وبستة أحاديث: منها ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في مسنديهما والبيهقي في الاعتقاد، وصححه عن الأسود بن سريع وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنهما ـ أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب! لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: لقد جاء الإسلام وصبيان يخذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: «رب! لقد

جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب! ما أتاني منك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يسحب إليها».

ومنها ما أخرجه البزار في مسنده بسند حسن على شرط الترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «يؤتى بالهالك في فترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه: أي رب! لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: لم أدرك العمل: فترفع لهم نار فيقال لهم: ردوها فيدخلها من كان في علم اللّه تعالى سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم اللّه شقياً لو أدرك العمل: فيقول تبارك وتعالى: إياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب».

ومنها ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم بسند صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: «إذا كان يوم القيامة جمع اللّه أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام، ثم أرسل إليهم أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسل؟ قال: وأيم اللّه! لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، ثم يرسل عليهم أن أطيعوا، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه، قال أبو هريرة: فاقرأوا إن شئتم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]».

وحديث رابع أخرجه الحاكم في مستدركه من حديث ثوبان رضي اللّه عنه وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي ـ رحمهم اللّه تعالى ـ.

وحديث خامس أخرجه البزار وأبو يعلى من حديث أنس رضي اللّه عنه.

وحديث سادس أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث معاذ بن جبل رضي اللّه عنه.

قال العلماء: هذه الآيات والأحاديث ناسخة لكل ما خالفها من الأحاديث في صحيح مسلم وغيره، كما أن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، والأحاديث الواردة بخلاف ذلك.

وقد مشى على ذلك المدرك جماعة آخرهم إمام الحفاظ في زمانه قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني فقال: الظن بآبائه صلى اللّه عليه وآله وسلم كلهم ـ يعني الذين ماتوا قبل البعثة ـ أنهم يطيعون عند الامتحان لتقرّ به عينه صلى اللّه عليه وآله وسلم.

ويدل له من الأحاديث ما أخرجه ابن جرير في تفسيره، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]، قال: رضاء محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أنه سئل صلى اللَّه عليه وآله وسلم عن أبويه فقال: «ما سألت ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام المحمود». فهذا يلوح بترجي الشفاعة عند الامتحان، ولولا عدم بلوغهما الدعوة لم تكن هذه الشفاعة، لأن الشفاعة لا تكون لمن بلغته الدعوة وعاند.

وقد صرح بهذا التلويح في حديث أخرجه الرازي في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية». أورده المحب الطبري وهو من الحفاظ والفقهاء في كتابه: «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» وقال: إن ثبت فهو مؤول في أبي طالب على ما ورد في الصحيح من تخفيف العذاب عنه بشفاعته ـ انتهى، فاحتاج إلى تأويله في أبي طالب، لأنه أدرك البعثة ولم يسلم.

وقد اختلفت عبارة الأصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فأحسنها من قال فيه: ناج، وقال بعض الأصحاب: مسلم. وقال الغزالي: التحقيق أن يقال: في معنى المسلم.

**الدرجة الثانية**: إن اللَّه أحياهما له فآمنا به، وذلك في حجة الوداع، لحديث في ذلك عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أخرجه الخطيب البغدادي في «السابق واللاحق» والدارقطني وابن عساكر كلاهما في «غرائب مالك»، وابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ»، والمحب الطبري في «سيرته»؛ وأورده السهيلي في «الروض الأنف» من وجه آخر بلفظ آخر وإسناده ضعيف وقد مال إليه هؤلاء الثلاثة مع ضعفه، وهكذا القرطبي وابن المنير، ونقله ابن سيد الناس عن بعض أهل العلم، وقال به الصلاح الصفدي في نظم له والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في أبيات له، وجعلوه ناسخاً لما خالفه من الأحاديث لتأخره ولم يبالوا بضعفه، لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب وهذه منقبة.

وقد أيد بعضهم هذا الحديث بالقاعدة التي اتفق عليها الأئمة أنه ما أوتي نبي معجزة أو خصيصة إلا أوتي نبينا صلى اللَّه عليه وآله وسلم مثلها، وقد أحيا اللَّه تعالى لعيسى عليه السلام الموتى من قبورهم، فلا بد أن يكون لنبينا صلى اللَّه عليه

وآله وسلم مثل ذلك، ولم يرو من هذا النوع إلا هذه القصة، فلم يستبعد ثبوتها؛ وإن كان من هذا النمط نطق الذراع وحنين الجذع إلا أن هذه القصة عين ما وقع لعيسى عليه السلام فهو أشبه بالمماثلة. ولا شك من الطرق التي يعضد بها الحديث الضعيف موافقته القواعد المقررة. قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي:

**شعر**

حبا اللّه النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا

**الدرجة الثالثة**: إنهما كانا على التوحيد ودين إبراهيم عليه السلام، كما كان على ذلك طائفة من العرب، كزيد بن عمرو بن نفيل، وقسّ بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وعمير بن حبيب الجهني، وعمرو بن عتبة في جماعة آخرين؛ وهذه طريقة الإمام فخر الدين الرازي وزاد: إن آباء النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كلهم إلى آدم على التوحيد لم يكن فيهم مشرك، قال: ومما يدل على أن آباء محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»، وقال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده عليه السلام مشركاً، قال: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]، معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد، قال: ولهذا التقرير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم كانوا مسلمين، قال: وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين، وإنما ذاك عمه؛ أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، على وجوه أخرى، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل؛ وبذلك يثبت أن والد إبراهيم عليه السلام ما كان من عبدة الأوثان، وأن آزر لم يكن والده بل كان عمه ـ انتهى ملخصاً.

وقد وافقه على الاستدلال بالآية الثانية بهذا المعنى الإمام الماوردي صاحب الحاوي الكبير من أئمة أصحابنا، وقد وجدت ما يعضد هذه المقالة من الأدلة ما بين مجمل ومفصل: فالمجمل دليل مركب من مقدمتين:

**إحداهما**: أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصوله عليه الصلاة والسلام من آدم عليه السلام إلى أبيه خير أهل زمانه.

**وثانيتهما**: الأحاديث الصحيحة والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح عليه السلام إلى بعثة النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم من أناس على الفطرة، يعبدون اللّٰه ويوحدونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض، ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها.

**ومن أدلة المقدمة الأولى:**

حديث البخاري: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه».

وحديث البيهقي: «ما افترقت الناس فرقتين إلا جعلني اللّٰه في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح لا من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي؛ فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً».

وحديث أبي نعيم وغيره: لم يزل اللّٰه ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى ومهذباً لا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما» ـ في أحاديث كثيرة.

**ومن أدلة المقدمة الثانية:**

ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر في تفسيره بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه قال: «لم يزل على وجه الأرض من يعبد اللّٰه عليها».

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في الزهد والخلال في كتاب «كرامات الأولياء» بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما: «ما خلت الأرض من بعد نوح ـ عليه السلام ـ من سبعة يدفع اللّٰه بهم العذاب عن أهل الأرض» ـ في آثار أخر.

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منهما قطعاً أن آباء النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم لم يكن فيهم مشرك. لأنه قد ثبت في كل منهم أنه خير قرنه؛ فإن كان الناس الذين هم على الفطرة هم آباؤه فهو المدعي، وإن كان غيرهم وهم على الشرك لزم أحد الأمرين: إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهو باطل بنص القرآن والإجماع، وإما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة؛ فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الأرض كل في قرنه.

وأما التفصيل: فأخرج البزار في مسنده وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم والحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس ـ رضي اللّٰه عنهما ـ في

قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال: بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث اللّٰه النبيين.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علماء يهتدى بهم، وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث اللّٰه نوحاً، وكان أول رسول أرسله اللّٰه تعالى إلى أهل الأرض.

وفي التنزيل حكاية عن نوح عليه السلام أنه قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨].

فثبت بهذا إيمان أجداده صلى اللّٰه عليه وآله وسلم من آدم إلى نوح. وولد نوح سام مؤمن بنص القرآن والإجماع، أنه نجا مع أبيه في السفينة ولم ينج فيها إلا مؤمن.

وفي التنزيل ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، بل ورد في أثر أنه كان نبياً. وولده أرفجشد نص على إيمانه في أثر عن ابن عباس - رضي اللّٰه عنهما - أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر وفيه: أنه أدرك جده نوحاً ودعا له بأن يجعل اللّٰه الملك والنبوة في ولده. ومن شارخ إلى تارخ نص على إسلامهم في أثر أخرجه ابن سعد في الطبقات من طريق الكلبي.

وأما آزر فالأرجح كما قال الرازي: أنه عم إبراهيم لا أبوه، وقد سبقه إلى ذلك جماعة من السلف؛ فروينا بالأسانيد عن ابن عباس، ومجاهد وابن جريج والسدي قالوا: ليس آزر أبا إبراهيم، إنما هو إبراهيم بن تارخ. ووقفت على أثر في تفسير ابن المنذر صرح فيه بأنه عمه.

فثبت بما قررناه أن الأجداد الشريفة من آدم إلى إبراهيم عليهما السلام منصوص على إيمانهم ومتفق عليهم إلا الخلاف في آزر من حيث كونه أباً أو عماً. فإن كان أباً استثني من الأجداد، وإن كان عماً خرج منها وسلمت السلسلة.

وأما من بعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فقد اتفقت الأحاديث الصحيحة ونصوص العلماء على أن العرب من بعد إبراهيم - وهم على دينه - لم يكفر منهم أحد قط ولم يعبد صنماً إلى عهد عمرو بن لحي الخزاعي، فإنه أول من غيَّر دين إبراهيم عليه السلام وعبد الأصنام وسيب السوائب.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصبه في النار وكان أول من سيب السوائب».

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قُصبه في النار، إنه أول من غير دين إبراهيم عليه السلام».

وأخرج أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه، عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجر أمعاؤه في النار».

قال الشهرستاني في «الملل والنحل»: كان دين إبراهيم قائماً، والتوحيد في صدر العرب شائعاً، وأول من غيره واتخذ عبادة الأوثان عمرو بن لحي.

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير: كان العرب على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم، فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام، وشرع للعرب الضلالات، وزاد في التلبية بعد قوله: لا شريك له، قوله: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. فهو أول من قال ذلك؛ وتبعه العرب على الشرك، فشابهوا بذلك قوم نوح يعني في إحداث الكفر بعد أن كان سلفهم على الإيمان وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم عليه السلام.

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم، فلا تذكروهم إلا بخير.

وأخرج ابن سعد في الطبقات من مرسل عبد اللَّه بن خالد قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: لا تسبوا مضر فإنه قد كان أسلم. وفي الروض الآنف للسهيلي يذكر عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمناً».

وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بالحج. وفيه أيضاً: أن كعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم، ويذكرهم بمبعث النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم، ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به؛ وينشد في هذا أبياتاً منها قوله:

يا ليتني شاهد نجواء دعوته ... إذا قريش تبغي الحق خذلانا

قال السهيلي: وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب ـ رضي اللَّه عنه ـ في كتاب الأعلام له. قلت: وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة.

فثبت بهذا التقرير أن أجداده صلى اللَّه عليه وآله وسلم من إبراهيم إلى كعب بن لؤي وولده مرة منصوص على إيمانهم، ولم يختلف فيهم اثنان؛ وبقي بين

مرة وبين عبد المطلب أربعة آباء هم كلاب، وقصي وعبد مناف وهاشم، ولم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا.

وبقي ثلاثة أدلة متعلقة بعقب إبراهيم المنظومين في سلسلة نسبه الشريفة:

**الأول:** قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ـ٢٨].

أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، قال: لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم وأخرج عن مجاهد مثله.

وأخرج عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، قال: شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد، لا يزال في ذريته من يقولها بعده.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، قال: في عقب إبراهيم، فلم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يقول: لا إله إلا الله.

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، قال: الإخلاص والتوحيد، لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده.

**والثاني:** قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: ٤٠]، قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم أناس على الفطرة يعبدون الله.

**الثالث:** قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: فاستجاب الله تعالى لإبراهيم دعوته في ولده، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته، واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً، ورزق أهله من الثمرات وجعله إماماً وجعل من ذريته من يقيم الصلاة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل: هل عبد أحد من ولد إسماعيل عليه السلام الأصنام؟ قال: لا، ألم تسمع قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾! قيل: فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم عليه السلام؟ قال: لأنه دعاء لأهل البلد خاصة أن لا يعبدوا إذ أسكنهم فقال: اجعل هذا البلد آمناً، ولم يدع لجميع البلدان بذلك وقال: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فيه؛ فقد خص أهله.

فظهر بجميع ما قررناه من الأدلة والنقول مصداق ما قاله فخر الدين. وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي:

تنقل أحمد نوراً عظيماً تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرناً إلى أن جاء خير المرسلينا

ولم يبق بعد المذكورين إلا عبد المطلب، وفيه خلاف بين الناس، والأحسن في شأنه أنه لم تبلغه الدعوة. قال الشهرستاني: ظهر نور النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في أسارير عبد المطلب بعض الظهور، وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده. وببركته قال لأبرهة: إن لهذا البيت رباً يحفظه، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس:

## أشعار

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك
فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وببركة ذلك النور كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور. وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبته فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر وقال: واللّه وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء بإساءته.

فهذا يدل على أنه لم تبلغه الدعوة على وجهها، ولم يجد من يعرفه حقيقة ما جاءت به الرسل؛ فإنه لو وجد من يخبره بأن الأنبياء جاءت بالبعث لم يكن في غفلة منه حتى وقعت هذه الواقعة، فتفكر فيها واستدل بها على أن ثم داراً أخرى.

وفيه قول ساقط: إن اللّه تعالى أحياه حتى آمن بالنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم. حكاه ابن سيد الناس في السيرة وغيره وهو مردود، ولا أعرفه عن أحد من أئمة السنة إنما يحكى عن بعض الشيعة، وهو قول لا دليل عليه، ولم يرد فيه حديث قط لا ضعيف ولا غيره، وبهذا فارق قول الإمام فخر الدين، فإن القائل يدعي أن عبد المطلب أحيي وآمن بالنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وصار على ملته، والإمام فخر الدين لا يقول هذا بل يقول: إنه كان في الأصل على ملة إبراهيم من غير أن يحصل له دخول في هذه الملة.

## تتمة

ويعضد ذلك في أم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ما أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسند ضعيف من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم غلام يقع له خمسة سنين عند رأسها، فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

## أشعار

بارك فيك اللَّه من غلام ... يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من الإبل السوام ... إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام ... تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر أبرهام ... فاللَّه أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً وولدت طهراً؛ ثم ماتت. وكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك:

## أشعار

تبكي الفتاة البرة الأمينة ... ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد اللَّه والقرينة ... أم نبي اللَّه ذي السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة ... صارت لدى حفرتها رهينة

فأنت ترى هذا الكلام منها صريحاً في النهي عن موالاة الأصنام مع الأقوام، والاعتراف بدين إبراهيم عليه السلام، وببعث ولدها إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام؛ وهذه الألفاظ منافية للشرك.

ثم إني استقريت أمهات الأنبياء فوجدت أكثرهن منصوصاً على إيمانهن، ومن لم ينص عليها سكت عنها فلم ينقل فيها شيء البتة. والظاهر إن شاء اللَّه إيمانهن: وكان السر في ذلك ما يرينه من النور كما ورد في الحديث.

أخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن

سارية ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «إني عند اللَّه لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت». وكذلك أمهات النبيين يرين، وإن أم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم في حال حملها به وولادتها له رأت من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء كما سقنا الأخبار بذلك في كتاب المعجزات.

وهذا ثالث مؤلف ألفته في هذه المسألة وهو أخصرها، ولي مؤلف رابع في حديث إحيائهما والكلام من جهة صناعة الحديث خاصة.

وقد شرعت في عمل خامس وهو مقامة منثورة على طريقة الإنشاء.

## خاتمة

نقلت من مجموع بخط شيخ كمال الدين الشمني والد شيخنا الإمام تقي الدين رحمهما اللَّه تعالى ما نصه: سئل القاضي أبو بكر بن العربي عن رجل قال: إن أبا النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في النار، فأجاب بأنه ملعون، لأن اللَّه تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، قال: لا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه: أنه في النار ـ انتهى.

وأورد المحب الطبري في كتاب «ذخائر العقبى» عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: جاءت سبيعة[(١)] بنت أبي لهب إلى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم فقالت: «يا رسول اللَّه! إن الناس يقولون: أنت بنت حطب النار، فقام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وهو مغضب فقال: ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللَّه».

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عبد اللَّه بن يونس قال: سمعت بعض شيوخنا يذكر أن عمر بن عبد العزيز أتى بكاتب يخط بين يديه وكان مسلماً وأبوه كافراً، فقال عمر للذي جاء به: لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين! فقال الكاتب: فقد كان أبو رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ـ وذكر كلمة أسقطتها أنا ـ فغضب عمر، وقال: لا تخط بين يدي بالقلم أبداً!

وأخرج شيخ الإسلام الهروي في ذم الكلام من طريق ابن أبي جميلة قال: قال عمر بن عبد العزيز لسليمان بن سعد: بلغني أن أباك عاملنا بمكان كذا وكذا وكذا

---

(١) قال أبو نعيم: صوابه درة، لها ذكر في مسند أبي هريرة، وقال: درة بنت أبي لهب ابنة عم النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم من المهاجرات.

وهو كافر! قال: وقد كان أبو رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم ـ ذكر ما بعد الكلام أسقطته أنا ـ فغضب عمر غضباً شديداً وعزله من الدواوين.

وذكر القاضي تاج الدين السبكي في كتابه الترشيح قال: قال الشافعي رحمه اللّٰه تعالى في بعض نصوصه: وقطع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم يد امرأة لها شرف فكلم فيها، فقال: لو سرقت فلانة ـ لامرأة شريفة ـ لقطعت يدها! قال ابن السبكي: فانظر إلى قوله: فلانة ـ ولم يبح باسم فاطمة ـ رضي اللّٰه عنها! تأدباً معها أن يذكرها في هذا المعرض، وإن كان أبوها صلى اللّٰه عليه وآله وسلم قد ذكرها، لأنه يحسن منه ما لا يحسن من غيره ـ انتهى كلام السبكي.

وقد جرى على الأدب الإمام أبو داود صاحب السنن فإنه أخرج في سننه حديثاً في آخره شيء يتعلق بعبد المطلب فلما انتهى إلى ذكره قال: فذكر تشديداً ـ ولم يصرح بشيء، والحديث متمم في مسند أحمد وسنن النسائي.

وهذا وأمثاله إرشاد من هؤلاء الأئمة وتعليم لنا أن نسكت عن التلفظ بمثل ذلك تأدباً، ولهذا سكت في مثل هذا الكتاب وفي سائر المؤلفات التي ألفتها في هذه المسألة عن التصريح بحكاية قول الفرقة الرابعة، واقتصرت على حكاية الفرق الثلاث ـ واللّٰه المستعان.



# مسالك الحنفا في والدي المصطفى ﷺ

**الحمد للّه وسلام على عباده الذين اصطفى**

هذا تأليف يسمى مسالك الحنفا في والدي المصطفى في مسألة الحكم في أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم أنهما ناجيان وليسا في النار، صرح بذلك جمع من العلماء: ولهم في تقرير ذلك مسالك:

## المسلك الأول

أنهما ماتا قبل البعثة، ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً، وأنه لا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وأنه إذا قتل يضمن بالدية والكفارة، نص عليه الإمام الشافعي رضي اللّه عنه وسائر الأصحاب، بل زاد بعض الأصحاب وقال: إنه يجب في قتله القصاص، ولكن الصحيح خلافه، لأنه ليس بمسلم حقيقي، وشرط القصاص المكافأة، وقد علل بعض الفقهاء كونه إذا مات لا يعذب بأنه على أصل الفطرة، ولم يقع منه عناد، ولا جاءه رسول فكذبه.

وهذا المسلك أول ما سمعته في هذا المقام الذي نحن فيه من شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوي، فإنه سئل عن والد النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: هل هو في النار؟ فزأر السائل زأرة شديدة، فقال له السائل: هل ثبت إسلامه؟ فقال: إنه مات في الفترة ولا تعذيب قبل البعثة. ونقله سبط ابن الجوزي في كتاب مرآة الزمان عن جماعة فإنه حكى كلام جده على حديث إحياء أمه صلى اللّه عليه وآله وسلم ثم قال ما نصه: وقال قوم: قد قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما؟

وجزم به الأبي في شرح مسلم وسأذكر عبارته، وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم يمتحنون يوم القيامة، وآيات مشيرة إلى عدم تعذيبهم، وإلى ذلك مال حافظ العصر شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر في بعض كتبه فقال: والظن بآبائه صلى اللّه عليه وآله وسلم يعني الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له صلى اللّه عليه وآله وسلم لتقر بهم عينه، وقد جعلت قضية الامتحان داخلة في هذا المسلك، مع أن الظاهر أنها مسلك مستقل لكن وجدت ذلك لمعنى دقيق لا يخفى على ذوي التحقيق.

## ذكر الآيات المشيرة إلى ذلك

**الآية الأولى:** قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وهذه الآية هي التي أطبقت أئمة السنة على الاستدلال بها في أنه لا تعذيب قبل البعثة، وردوا بها على المعتزلة ومن وافقهم في تحكيم العقل.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ قال: إن اللّه ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من اللّه بينة.

**الآية الثانية:** قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] أورد هذه الآية الزركشي في شرح جمع الجوامع استدلالاً على قاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً بل بالسمع.

**الآية الثالثة:** قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧] أورد هذه الزركشي أيضاً.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «الهالك في الفترة يقول: رب! لم يأتني كتاب ولا رسول، ثم قرأ هذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

**الآية الرابعة:** قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾. [طه: ١٣٤]

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية عن عطية العوفي قال: الهالك في الفترة يقول: رب! لم يأتني كتاب ولا رسول، وقرأ هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ إلى آخر الآية.

**الآية الخامسة**: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص: ٥٩]. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقتادة في الآية: وإلا لم يهلك اللّه تعالى أهل مكة حتى بعث إليهم محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم، فلما كذبوا وظلموا فبذلك هلكوا.

**الآية السادسة**: قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٥، ١٥٦].

**الآية السابعة**: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ * ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩]. أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم عن قتادة في الآية قال: ما أهلك اللّه من قرية إلا من بعد الحجة والبينة والعذر حتى يرسل الرسل وينزل الكتب تذكرة لهم وموعظة وحجة للّه ﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ يقول: ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البينة والحجة.

**الآية الثامنة**: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] قال المفسرون: احتج عليهم ببعثة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وهو المراد بالنذير في الآية.

## ذكر الأحاديث الواردة في أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فمن أطاع منهم أدخل الجنة ومن عصى أدخل النار

**الحديث الأول**: أخرج الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في مسنديهما والبيهقي في كتاب الاعتقاد وصححه عن الأسود بن سريع ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، وأما الأصم فيقول: رب! لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب! لقد جاء الإسلام والصبيان يخذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب! لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب! ما أتاني لك رسول؛ فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه. فيرسل إليهم أن ادخلوا النار! فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يستجر إليها».

**الحديث الثاني**: أخرج أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في مسنديهما وابن مردويه في تفسيره والبيهقي في الاعتقاد عن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه أن النبي

صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «أربعة يحتجون» ـ فذكر مثل حديث الأسود بن سريع ـ رضي اللَّه عنه ـ.

**الحديث الثالث**: أخرج البزار في مسنده عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه: أي رب! لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: لم أدرك العمل؛ قال: فيرفع لهم نار فيقال لها: ردوها ـ أو قال: ادخلوها ـ فيدخلها من كان في علم اللَّه سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم اللَّه شقياً لو أدرك العمل، فيقول تبارك وتعالى: إياي عصيتم وكيف برسلي بالغيب»! في إسناده عطية العوفي فيه ضعف، والترمذي يحسن حديثه، وهذا الحديث له شواهد تقتضي الحكم بحسنه وثبوته.

**الحديث الرابع**: أخرج البزار وأبو يعلى في مسنديهما عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة وبالشيخ الفاني كلهم متكلم بحجته، فيقول اللَّه تبارك وتعالى لعنق من جهنم: أبرزي! فيقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم، أدخلوا هذه: فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب! أتدخلناها وما كنا نعرف؟ ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعاً، فيقول اللَّه: قد عصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية، فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار».

**الحديث الخامس**: أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي اللَّه تعالى عنه قال: «إذا كان يوم القيامة جمع اللَّه أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسل؟ قال: وأيم اللَّه! لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه»؛ قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. إسناده صحيح على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع.

**الحديث السادس**: أخرج البزار والحاكم في مستدركه عن ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم، فيقولون: ربنا! لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر، ولو أرسلت إلينا رسولاً لكنا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم:

أرأيتكم إن أمرتكم بأمر تطيعوني؟ فيقولون: نعم! فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلونها، فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون: ربنا أجرنا منها، فيقول لهم: ألم تزعموا إن أمرتكم بأمر تطيعوني؟ فيأخذ على ذلك مواثيقهم، فيقول: اعمدوا إليها فادخلوا، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا، فقالوا: ربنا! فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها داخرين، فقال النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً». قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

**الحديث السابع**: أخرج الطبراني وأبو نعيم عن معاذ بن جبل ـ رضي اللّه عنه ـ عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «يؤتى يوم القيامة بالممسوح عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً، فيقول الممسوح عقلاً: يا رب! لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد لعقله مني ـ وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك فيقول الرب: إني آمركم بأمر فتطيعوني؟ فيقولون: نعم، فيقول: اذهبوا فادخلوا النار، قال: ولو دخلوها ما ضرتهم، فتخرج عليهم فرائص، فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق اللّه من شيء فيرجعون سراعاً، ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك، فيقول الرب: قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون وعلى علمي تصيرون، ضميهم فتأخذهم».

قال الكيا الهراسي في تعليقه في الأصول في مسألة شكر المنعم: اعلم أن الذي استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول ولا يتلقى من قضيات العقول. فأما من عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة والكرامية والمعتزلة وغيرهم فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة، فمنها ما يتلقى من الشرع المنقول، ومنها ما يتلقى من قضيات العقول. قال: وأما نحن فنقول: لا يجب شيء قبل مجيء الرسول فإذا ظهر وأقام المعجزة يمكن العاقل من النظر فنقول: لا يعلم أول الواجبات إلا بالسمع، فإذا جاء الرسول وجب عليه النظر. وعند هذا يسأل المستطرفون فيقولون: ما الواجب الذي هو طاعة وليس بقربة؟ وجوابه: أن النظر الذي هو أول الواجبات طاعة وليس بقربة لأنه ينظر للمعرفة فهو مطيع وليس بمتقرب، لأنه إنما يتقرب إلى من يعرفه.

قال: وذكر شيخنا الإمام في هذا المقام شيئاً حسناً فقال: قبل مجيء الرسول يتعارض الخواطر والطرق إذ ما من خاطر يعرض له إلا ويمكن أن يقدر أن يخطر خاطر آخر على نقيضه فيتعارض الخواطر، ويقع العقل في حيرة ودهشة فيجب التوقف إلى أن تنكشف الغمة وليس ذلك إلا لمجيء الرسول. وها هنا قال الأستاذ

أبو إسحاق: إن قول: لا أدري نصف العلم. ومعناه أنه انتهى علمي إلى حد وقف عنده مجاوزة العقل، وهذا إنما يقوله من وقف في العلم وعرف مجاري العقل مما لا يجري فيه ووقف عنده ـ انتهى.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في المحصول: شكر المنعم لا يجب عقلاً خلافاً للمعتزلة لنا: أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعذب تاركه ولا تعذيب قبل البعث فلا وجوب، أما الملازمة فبينة، وأما أنه لا تعذيب فلقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ بقي التعذيب إلى غاية البعثة فينبغي، وإلا وقع الخلف في قول اللّه وهو محال ـ انتهى.

وذكر أتباعه مثل ذلك كصاحب الحاصل والتحصيل والبيضاوي في منهاجه. وقال القاضي تاج الدين السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب على مسألة شكر المنعم: فيخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجياً ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وهو مضمون بالكفارة والدية، ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح.

وقال البغوي في التهذيب: أما من لم تبلغه الدعوة فلا يجوز قتله قبل أن يدعى إلى الإسلام فإن قتل قبل أن يدعى إلى الإسلام وجب في قتله الدية والكفارة. وعند أبي حنيفة رحمه اللّه: لا يجب الضمان بقتله، وأصله: أنه عندهم محجوج عليه بعقله، وعندنا هو غير محجوج عليه قبل بلوغ الدعوة إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، فثبت أنه لا حجة عليه قبل مجيء الرسول ـ انتهى.

وقال الرافعي في الشرح: من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام، ولو قتل كان مضموناً خلافاً لأبي حنيفة. وبنى الخلاف على أنه محجوج عليه بالعقل عنده، وعندنا: من لم تبلغه الدعوة لا تثبت عليه الحجة، ولا يتوجب المؤاخذة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ـ انتهى.

وقال الغزالي في البسيط: من لم تبلغه الدعوة يضمن بالدية والكفارة لا بالقصاص على الصحيح، لأنه ليس مسلماً على التحقيق وإنما هو في معنى المسلم. وقال ابن الرفعة في الكفاية: لأنه مولود على الفطرة ولم يظهر منه عناد.

وقال النووي في شرح مسلم في مسألة أطفال المشركين: المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون أنهم في الجنة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. قال: وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى ـ انتهى.

فإن قلت: هذا المسلك الذي قدرته هل هو عام في أهل الجاهلية كلهم؟ قلت: لا، بل هو خاص بمن لم تبلغه دعوة نبي أصلاً، أما من بلغته منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصر على كفره فهو في النار قطعاً؛ وهذا لا نزاع فيه. وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد، وذلك لمجموع أمور: تأخر زمانهما وبُعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين، فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا صلى اللّه عليه وآله وسلم عيسى عليه السلام، وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا نحو ست مائة سنة، ثم إنهما كانا في زمن جاهلية وقد طبق الجهل الأرض شرقاً وغرباً وفقد من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها إلا نفر يسير من أحبار أهل الكتاب، مزقت في أقطار الأرض كالشام وغيرها؛ ولم يعهد تقلب لهما في الأسفار سوى المدينة، ولا عمَّرا عمراً طويلاً بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش، فإن والد النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لم يعش من العمر إلا قليلاً.

قال الإمام الحافظ صلاح الدين العلائي في كتابه «الدرة السنية في مولد خير البرية»: كان سن عبد اللّه حين حملت منه آمنة برسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم نحو ثمانية عشر عاماً، ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمراً لأهله فمات بها عند أخواله من بني النجار، والنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم حمل على الصحيح ـ انتهى.

وأمه قريبة من ذلك لا سيما وهي امرأة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال، والغالب على النساء أنهن لا يعرفن ما الرجال فيه من أمر الديانات والشرائع خصوصاً في زمان الجاهلية الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلاً عن نسائه.

ولهذا لما بعث النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم تعجب من بعثته أهل مكة وقالوا: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] وقالوا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]. فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك، وربما كانوا يظنون أن إبراهيم بعث بما هم عليه فإنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة إبراهيم على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها إذ كان بينهم وبين زمن إبراهيم عليه السلام أزيد من ثلاثة آلاف سنة، فاتضح بذلك صحة دخولهما في هذا المسلك.

ثم رأيت الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال في أماليه ما نصه:

كل نبي إنما أرسل إلى قومه إلا نبينا صلى اللّه عليه وآله وسلم، قال: فعلى

هذا يكون ما عدا قوم كل نبي أهل الفترة إلا ذرية النبي السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق إلا أن تدرس شريعة السابق فتصير الكل من أهل الفترة ـ هذا كلامه. فبان بذلك أن الوالدين الشريفين من أهل الفترة بلا شك لأنهما ليسا من ذرية عيسى ولا من قومه.

ثم ترشح مما قال حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر: إن الظن بهما أن يطيعا عند الامتحان، أمران:

**أحدهما**: ما أخرجه الحاكم في المستدرك، وصححه عن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال شاب من الأنصار: لم أر رجلاً كان أكثر سؤالاً لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم منه ـ: يا رسول اللَّه! أرأيت أبواك في النار؟ فقال: «ما سألت ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام المحمود». فهذا الحديث يشعر بأنه مرتج لهما الخير عند قيامه المقام المحمود، وذلك بأن يشفع لهما فيوفقا للطاعة إذا امتحنا حينئذ كما يمتحن أهل الفترة، ولا شك في أنه يقال عند قيامه ذلك المقام: سل تُعط واشفعْ تُشفع! كما في الأحاديث الصحيحة، فإذا سأل ذلك أعطيه.

**الأمر الثاني**: ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] قال: من رضي محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. ولهذا عمم الحافظ ابن حجر في قوله: الظن بأهل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان.

**وحديث ثالث**: أخرج أبو سعيد في «شرف النبوة» والملا في سيرته، عن عمران بن حصين ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي، فأعطاني ذلك». أورده الحافظ محب الدين الطبري في كتابه «ذخائر العقبى».

**وحديث رابع**: أصرح من هذين: أخرج تمام الرازي في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية». أورده المحب الطبري وهو من الحفاظ والفقهاء في كتابه «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» وقال: إن ثبت فهو مؤول في أبي طالب على ما ورد في الصحيح من تخفيف العذاب عنه بشفاعته ـ انتهى.

وإنما احتاج إلى تأويله في أبي طالب دون الثلاثة أبيه وأمه وأخيه يعني من الرضاعة، لأن أبا طالب أدرك البعثة ولم يسلم والثلاثة ماتوا في الفترة.

وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر أضعف من هذا الطريق من حديث ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ أخرجه أبو نعيم وغيره، وفيه التصريح بأن الأخ من الرضاعة، فالطرق عدة يشد بعضها بعضاً فإن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة طرقه وأمثلها حديث ابن مسعود ـ رضي اللّه عنه ـ فإن الحاكم صححه.

ومما ينضم إلى ذلك ـ وإن لم يكن صريحاً في المقصود ـ ما أخرجه الديلمي عن ابن عمر ـ رضي اللّه عنهما ـ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب». وما أورده المحب الطبري في «ذخائر العقبى» وعزاه لأحمد في المناقب عن علي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم».

وما أورده أيضاً وعزاه لابن جرير عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينفع بل حتى يبلغ الحكم» ـ وهم أحد قبيلتين من اليمن ـ إني لأشفع فأشفع حتى أن من أشفع له ليشفع فيشفع حتى أن إبليس ليتطاول طمعاً في الشفاعة.

## لطيفة

نقل الزركشي في «الخادم»، عن ابن دحية أنه جعل من أنواع الشفاعات التخفيف عن أبي لهب في كل يوم اثنين لسروره بولادة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وإعتاقه ثويبة حين بشر به، قال: وإنما هي كرامة له صلى اللّه عليه وآله وسلم.

## تنبيه

ثم رأيت الإمام أبا عبد اللّه محمد بن خلف الأبي بسط الكلام على هذه المسألة في ـ شرح مسلم ـ عند حديث «إن أبي وأباك في النار» وأورد قول النووي فيه: أن من مات كافراً في النار، ولا تنفعه قرابة الأقربين، ثم قال: قلت: انظر هذا الإطلاق وقد قال السهيلي: ليس لنا أن نقول ذلك فقد قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «ولا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات»، وقال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ولعله يصح ما جاء أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم سأل اللّه سبحانه فأحيا له أبويه فآمنا، ورسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم فوق هذا ولا يعجز اللّه سبحانه شيء.

ثم أورد قول النووي وفيه: أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار، وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة، لأنه بلغتهم

دعوة إبراهيم وغيرهم من الرسل، ثم قال: قلت: تأمل ما في كلامه من التنافي، فإن بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل الفترة، فإن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى، ولا لحقوا النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين، ولكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون التي بين عيسى والنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم.

ولما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة، علمنا أنهم غير معذبين، فإن قلت: صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كصاحب المحجن وغيره، قلت: أجاب عن ذلك عقيل بن أبي طالب بثلاثة أجوبة:

**الأول**: أنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع.

**الثاني**: قصر التعذيب على هؤلاء ـ واللّه أعلم بالسبب.

**الثالث**: قصر التعذيب في هذه الأحاديث على من بدل وغَيّرَ الشرائع، وشرع من الضلال ما لا يعذر به، فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام:

**القسم الأول**: من أدرك التوحيد ببصيرته، ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل، ومنهم من دخل في شريعة قائمة حقة للرسل، كتبّع وقومه.

**القسم الثاني**: من بدّل وغيّر وأشرك ولم يوحد، وَشَرع لنفسه فحلل وحرم، وهم الأكثر كعمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة الأوثان وشرع الأحكام فبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة وحمى الحامي، وزادت طائفة من العرب على ما شرعه أن عبدوا الجن والملائكة وخرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتاً جعلوا لها سدنة وحجاباً يضاهون الكعبة والعزى ومناة.

**القسم الثالث**: من لم يشرك ولم يوحد، ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة، ولا اخترع ديناً، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله، وفي الجاهلية من كان كذلك: فإذا انقسم أهل الفترة إلى ثلاثة أقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما لا يعذرون به، وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين للقطع كما تقدم، وأما القسم الأول فقد قال صلى اللّه عليه وآله وسلم في كل من قس وزيد: «إنه يبعث أمة واحدة» وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين ـ انتهى ما أورده الأبي.

## المسلك الثاني

أنهما لم يثبت عنهما شرك، بل كانا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما، وهذا المسلك ذهبت إليه طائفة، منهم: الإمام فخر الدين الرازي فقال في كتابه: أسرار التنزيل ما نصه: قيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم، بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوده، منها: أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً، ويدل عليه وجوه، منها: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩]. قيل: معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد.

وبهذا التقدير الآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين إنما ذاك عمه.

أقصى ما في الباب: أن يحمل قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ على وجوه أخر، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل؛ ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان.

ثم قال: ومما يدل على أن آباء محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨]، فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً.

هذا كلام الإمام فخر الدين الرازي بحروفه، وناهيك به إمامة وجلالة، فإنه إمام أهل السنة في زمانه، والقائم بالرد على الفرق المبتدعة في وقته، والناصر لمذهب الأشاعرة في عصره؛ وهو العالم المبعوث على رأس المائة السادسة ليجدد لهذه الأمة أمر دينها.

وعندي في نصرة هذا المسلك، وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور:

**أحدها**: دليل استنبطه مركب من مقدمتين، **الأولى**: أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصول النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم من آدم إلى أبيه عبد اللَّه فهو خير أهل قرنه وأفضلهم، ولا أحد في قرنه ذلك خير منه ولا أفضل.

**الثانية**: أن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح، أو آدم إلى بعثة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم إلى أن تقوم الساعة من ناس على

الفطرة يعبدون اللّه ويوحدونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض، ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها.

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منها قطعاً بأن آباء النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لم يكن فيهم مشرك، لأنه قد ثبت في كل منهم أنه خير قرنه، فإن كان الناس الذين على الفطرة هم آباءهم فهو المدعي، وإن كان غيرهم وهم على الشرك لزم أحد الأمرين: إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهو باطل بالإجماع، وإما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة، فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الأرض في كل قرنه.

## ذكر أدلة المقدمة الأولى

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه».

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس ـ رضي اللّه عنه ـ أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني اللّه في خيرهما فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي؛ فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً».

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لم يزل اللّه ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

وأخرج مسلم والترمذي وصححه عن واثلة بن الأسقع رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إن اللّه اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم».

وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في فضائل العباس من حديث واثلة بلفظ: «إن اللّه اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلاً، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزاراً، ثم اصطفى من ولد نزار مضر، ثم اصطفى من مضر كنانة، ثم اصطفى من كنانة قريشاً، ثم اصطفى من قريش بني هاشم، ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب، ثم اصطفاني من بني عبد المطلب» ـ أورده المحب الطبري في «ذخائر العقبى».

وأخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بني عبد مناف بنو هاشم، وخير بني هاشم بنو عبد المطلب، واللَّه ما افترق فرقتان منذ خلق اللَّه آدم إلا كنت في خيرهما».

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «إن اللَّه خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار».

وأخرج الترمذي وحسّنه البيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «إن اللَّه حين خلقني جعلني من خير خلقه، ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً».

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «إن اللَّه قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرهم ثلثاً، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً».

وأخرج أبو علي بن شاذان فيما أورده المحب الطبري في «ذخائر العقبى» وهو في مسند البزار عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية فقالت صفية: منا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم، فقالوا: تنبت النخلة ـ أو الشجرة ـ في الأرض اللياء[1]؛ فذكرت ذلك صفية لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم، فغضب وأمر بلالاً فنادى في الناس، فقام على المنبر فقال: «أيها الناس من أنا؟ قالوا: أنت رسول اللَّه، قال: انسبوني قالوا: محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب، قال: فما بال أقوام ينزلون أصلي؟ فواللَّه إني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً».

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال: بلغ النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أن قوماً نالوا منه فقالوا: إنما مثل محمد كمثل نخلة تنبت في اللياء، فغضب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وقال: «إن اللَّه خلق خلقه فجعلهم فرقتين

---

(١) الأرض اللياء: الأرض البعيدة عن الماء.

فجعلني في خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلاً، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيوتاً؛ ثم قال: أنا خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً».

وأخرج الطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الدلائل» عن عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ قالت: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: قال لي جبريل: «قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، ولم أجد بني أب أفضل من بني هاشم».

قال الحافظ ابن حجر في «أماليه»: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، ومن المعلوم أن الخيرية والاصطفاء والاختيار من اللّه والأفضلية عنده لا يكون مع الشرك.

## ذكر أدلة المقدمة الثانية

قال عبد الرزاق في «المصنف» عن معمر عن ابن جريج قال: وقال ابن المسيب: قال علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ: لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها. هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع، وقد أخرجه ابن المنذر في تفسيره عن الدبري عن عبد الرزاق به.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع اللّه بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ [البقرة: ٣٨]، قال: ما زال للّه في الأرض أولياء منذ هبط آدم ما أخلى اللّه الأرض لإبليس إلا وفيها أولياؤه يعملون للّه بطاعته.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: روى ابن القاسم عن مالك قال: بلغني عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ أنه قال: لا يزال للّه في الأرض ولي ما دام فيها للشيطان ولي.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في «الزهد والخلال» في كتاب كرامات الأولياء، بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع اللّه تعالى بهم عن أهل الأرض، هذا أيضاً له حكم الرفع.

وأخرج الأزرقي في «تاريخ مكة» عن زهير بن محمد قال: لم يزل على وجه

الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، لولا ذلك لأهلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج الجندي في «فضائل مكة» عن مجاهد قال: لم يزل على الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، لولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد» عن كعب ـ رضي اللّه عنه ـ قال: لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب.

وأخرج الخلال في كتاب «كرامات الأولياء» عن زاذان قال: ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً يدفع اللّه بهم عن أهل الأرض.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جريج في قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: ٤٠] قال: فلا يزال من ذرية إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ناس على الفطرة يعبدون اللّه. وإنما وقع التقييد في هذه الآثار الثلاثة بقوله: من بعد نوح، لأنه من قبل نوح كان الناس كلهم على الهدى.

أخرج البزار في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم والحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس رضي اللّه عنهما في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث اللّه النبيين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه، «**كان الناس أمة واحدة فاختلفوا**».

وأخرج أبو يعلى والطبراني وابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، قال: على الإسلام كلهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى، وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث اللّه نوحاً، وكان أول رسول أرسله اللّه إلى أهل الأرض.

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» من وجه آخر عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام.

وأخرج ابن سعد من طريق سفيان بن سعيد الثوري، عن أبيه عن عكرمة قال: بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.

وفي التنزيل حكاية عن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨]، وولد نوح سام مؤمن بالإجماع والنص، لأنه نجا مع أبيه في السفينة ولم ينج فيها إلا مؤمن، وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، بل ورد في أثر: أنه كان نبياً، أخرجه ابن سعد في

الطبقات والزبير بن بكار في «الموقفيات» وابن عساكر في تاريخه عن الكلبي، وولده أرفخشد صرح بإيمانه في أثر عن ابن عباس أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر، وفيه: أنه أدرك جده نوحاً وأنه دعا له أن يجعل اللّه الملك والنبوة في ولده ومن ولد أرفخشد إلى تارخ ورد التصريح بإيمانهم في أثر.

أخرج ابن سعد في «الطبقات» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ: أن نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما هبط من السفينة هبط إلى قرية فبنى كل رجل منهم بيتاً فسميت سوق الثمانين، فغرق بنو قابيل كلهم، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، فلما ضاقت بهم سوق الثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف وهم على الإسلام، ولم يزالوا على الإسلام وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوس بن كنعان بن حام(١) بن نوح فدعاهم نمرود إلى عبادة الأوثان ففعلوا.

هذا لفظ الأثر، فعرف من مجموع هذه الآثار أن أجداد النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلى زمن نمرود، وفي زمنه كان إبراهيم عليه السلام وآزر، فإن كان آزر والد إبراهيم فيستثنى من سلسلة النسب، وإن كان عمه فلا استثناء في هذا القول أعني أن آزر ليس أبا إبراهيم كما ورد عن جماعة من السلف.

أخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام: ٧٤]، قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تارخ.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم.

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾، قال: ليس آزر بأبيه إنما هو إبراهيم بن تيرخ ـ أو تارخ ـ بن شارخ بن ناخور بن فاطم.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي أنه قيل له: اسم أبي إبراهيم آزر، فقال: بل اسمه تارخ، وقد وجه من حيث اللغة بأن العرب كانوا يطلقون لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً وإن كان مجازاً.

---

(١) الأصح أن كنعان هو ابن سام بن نوح عليه السلام واللّه أعلم.

وفي التنزيل: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فأطلق على إسماعيل لفظ الأب، وهو عم يعقوب كما أطلق على إبراهيم وهو جده.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما أنه كان يقول: الجد أب ويتلو: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾.

وأخرج عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾، قال: سمي العم أباً.

وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: الخال والد والعم والد، وتلا هذه الآية. فهذه أقوال السلف من الصحابة والتابعين في ذلك.

ويرشحه ما أخرجه ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد، قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار جعلوا يجمعون الحطب حتى أن كانت العجوز لتجمع الحطب، فلما أرادوا أن يلقوه في النار قال: حسبي اللّٰه ونعم الوكيل، فلما ألقوه قال اللّٰه: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]؛ فقال عم إبراهيم: من أجلي دفع عنه، فأرسل اللّٰه عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فأحرقته.

فقد صرح في هذا الأثر عم إبراهيم، وفيه فائدة أخرى وهو أنه هلك في أيام إلقاء إبراهيم في النار، وقد أخبر اللّٰه سبحانه في القرآن بأن إبراهيم ترك الاستغفار له لما تبين له أنه عدو للّٰه، ووردت الآثار بأن ذلك تبين له لما مات مشركاً وأنه لم يستغفر له بعد ذلك.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: ما زال إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه حتى مات، فلما تبين له أنه عدو للّٰه فلم يستغفر له.

وأخرج عن محمد بن كعب وقتادة ومجاهد والحسن وغيرهم قالوا: كان يرجوه في حياته، فلما مات على شركه تبرأ منه، ثم هاجر إبراهيم عقيب واقعة النار إلى الشام كما نص اللّٰه على ذلك في القرآن، ثم بعد مدة من مهاجره دخل مصر واتفق له فيها مع الجبار ما اتفق بسبب سارة وأخدمه هاجر، ثم رجع إلى الشام، ثم أمره اللّٰه أن ينقلها وولدها إسماعيل إلى مكة فنقلهما ودعا فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٧ـ ٤١]، فاستغفر لوالديه وذلك بعد هلاك عمه مدة طويلة: فيستنبط من

هذا أن المذكور في القرآن بالكفر والتبرؤ من الاستغفار له هو عمه لا أبوه الحقيقي، فللَّه الحمد على ما ألهم.

روى ابن سعد في «الطبقات» عن الكلبي قال: هاجر إبراهيم من بابل إلى الشام وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين، فأتى حران فأقام بها زماناً، ثم أتى إلى الأردن فأقام بها زماناً، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زماناً، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع أرضاً بين إيلياء وفلسطين؛ ثم إن بعض أهل البلد آذوه فتحول من عندهم فنزل منزلاً بين الرملة وإيلياء.

وروى ابن سعد عن الواقدي قال: ولد لإبراهيم إسماعيل، وهو ابن تسعين سنة، فعرف من هذين الأثرين أن بين هجرته من بابل عقيب واقعة النار وبين الدعوة التي دعا بها بمكة بضعاً وخمسين سنة.

## تتميم

ثم استمر التوحيد في ولد إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ: قال الشهرستاني في «الملل والنحل»: كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد في صدر العرب شائعاً، وأول من غيره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي؛ قلت: وقد صح بذلك الحديث.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قُصبه في النار، كان أول من سيب السوائب».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار».

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير في تفسيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن جندب يجر قصبه في النار، إنه أول من غير دين إبراهيم». ولفظ ابن إسحاق: إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة، وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي. وله طرق أخرى.

وأخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس رضي اللَّه عنه قال: كان الناس بعد إسماعيل عليه السلام على الإسلام، وكان الشيطان يحدث الناس بالسيّىء يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً

هو لك تملكه وما ملك. قال: فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك.

قال السهيلي في «الروض الآنف»، كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب رباً لا شرع لهم بدعة إلا أخذوها بسرعة لأنه كان يطعم الطعام ويكسو في الموسم.

وقد ذكر ابن إسحاق: أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها، وكانت التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ فلبى معه، فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكاً هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال: وما هذا؟ فقال الشيخ: قل: تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو ودانت بها العرب ـ انتهى كلام السهيلي.

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في تاريخه: كانت العرب على دين إبراهيم إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها وزاد في التلبية بعد قوله: لبيك لا شريك لك، قوله: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وهو أول من قال ذلك، وتبعته العرب على الشرك فشابهوا بذلك قوم نوح وسائر الأمم المتقدمة وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم، وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاث مائة سنة وكانت ولايتهم مشؤومة إلى أن جاء قصي جد النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب وانتزع ولاية البيت منهم إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدثه لها عمرو الخزاعي من عبادة الأصنام وغير ذلك لأنهم رأوا ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي أن يغير ـ انتهى.

فثبت أن آباء النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم من عهد إبراهيم عليه السلام إلى زمان عمرو المذكور كلهم مؤمنون بيقين، ونأخذ في الكلام على الباقي وعلى زيادة توضيح لهذا القدر.

الأمر الثاني مما ننتصر لهذا المسلك آيات وآثار في ذرية إبراهيم وعقبه:

**الآية الأولى**: وهي أصرحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف ٢٦ـ٢٨].

أخرج عبد بن حميد في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، قال: لا إله إلا اللّه باقية في عقب إبراهيم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، قال: لا إله إلا اللّٰه. وقال عبد بن حميد: حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، قال: شهادة أن لا إله إلا اللّٰه والتوحيد، لا يزال في ذريته من يقولها بعده.

وقال عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، قال: الإخلاص والتوحيد، لا يزال في ذريته من يوحد اللّٰه ويعبده. أخرجه ابن المنذر ثم قال: وقال ابن جريج في الآية في عقب إبراهيم: فلم يزل بعد في ذرية إبراهيم من يقول: لا إله إلا اللّٰه؛ قال: وقال آخر: فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون اللّٰه تعالى حتى تقوم الساعة.

وأخرج عبد بن حميد عن الزهري في الآية قال: العقب ولده الذكور والإناث وأولاد الذكور.

وأخرج عن عطاء قال: العقب ولده وعصبته.

**الآية الثانية:** قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في هذه الآية قال: فاستجاب اللّٰه لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته في ولده واستجاب اللّٰه له وجعل هذا البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات وجعله إماماً وجعل من ذريته من يقيم الصلاة.

وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان» عن وهب بن منبه: أن آدم ـ عليه السلام ـ لما هبط إلى الأرض استوحش ـ فذكر الحديث بطوله في قصة البيت الحرام، وفيه من قول اللّٰه لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام: وأجعله أمة واحدة قانتاً بأمري داعياً إلى سبيلي، أجتبيه وأهديه إلى الصراط المستقيم، أستجيب دعوته في ولده وذريته من بعده، وأشفعه فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته ـ الحديث.

هذا الأثر موافق لقول مجاهد المذكور آنفاً، ولا شك أن ولاية البيت كانت معروفة بأجداد النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم خاصة دون سائر ذرية إبراهيم إلى أن انتزعها منهم عمرو الخزاعي، ثم عادت إليهم؛ فعرف أن كل ما ذكر عن ذرية إبراهيم من خير فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد فهم أولى بأن يكونوا هم

البعض المشار إليهم في قوله: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل: هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام؟ قال: لا، ألم تسمع قوله: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾، قيل: فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم؟ قال: لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا إذ أسكنهم إياه فقال: ﴿ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾، ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ فيه، وقد خص أهله وقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فانظر إلى هذا الجواب من سفيان بن عيينة وهو أحد الأئمة المجتهدين وهو شيخ إمامنا الإمام الشافعي رضي اللّه عنهما.

**الآية الثالثة**: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾.

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون اللّه تعالى.

**الآية الرابعة**: أخرج أبو الشيخ في تفسيره عن زيد بن علي قال: قالت سارة لما بشرتها الملائكة: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود: ٧٢]، فقالت الملائكة ترد على سارة: ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣]، قال: فهو كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ ﴾ [الزخرف: ٢٨]، فمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم وآله من عقب إبراهيم عليه السلام داخل في ذلك.

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة، وأصله على ملة إبراهيم عليه السلام، فلا تذكروهم إلا بخير.

وذكر أبو جعفر الطبري وغيره: أن اللّه أوحى إلى أرمياء أن اذهب إلى بخت نصر وأعلمه أني قد سلطته على العرب، وأمر اللّه أرمياء أن يحتمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا يصيبه النقمة فإني مستخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل، ففعل أرمياء ذلك واحتمل معداً إلى أرض الشام فنشأ مع بني إسرائيل، ثم عاد بعد أن هدأت الفتن.

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» من مرسل عبد اللّه بن خالد قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم».

وقال السهيلي في «الروض الأنف» في الحديث المروي: لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين. قلت: وقفت عليه مسنداً.

أخرجه أبو بكر محمد بن خلف بن حبان المعروف بوكيع في كتاب «الغرر من الأخبار» قال: حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن بن داود بن عيسى المروزي أبو يعقوب الشعراني قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال: حدثنا عثمان بن فائد عن يحيى بن طلحة بن عبيد اللّه عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنهما عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مسلمين».

وأخرج بسنده عن عائشة رضي اللّه عنها أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «لا تسبوا تميماً وضبة فإنهم كانوا مسلمين».

وأخرج بسنده عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لا تسبوا قيساً فإنه كان مسلماً». ثم قال السهيلي: ويذكر عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تسبوا إلياس فإنه كان مسلماً مؤمناً». وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بالحج.

قال: وكعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة، وقيل: هو أول من سماها الجمعة، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد في هذا أبياتاً منها قوله:

يا ليتني شاهد نجواء دعوته  إذا قريش تريد الحق خذلانا

قال: وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن محمد بن كعب في كتاب أعلام النبوة ـ انتهى.

قلت: هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وفي آخره: وكان بين موت كعب وبعث النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم خمس مائة سنة وستون سنة.

والماوردي المذكور هو أحد أئمة أصحابنا وهو صاحب «الحاوي الكبير» له كتاب «أعلام النبوة» في مجلد كثير الفوائد وقد رأيته وسأنقل منه في هذا الكتاب.

فحصل مما أوردناه أن آباء النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم من عهد إبراهيم إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم عليه السلام، وولده مرة بن كعب الظاهر أنه كذلك، لأن أباه أوصاه بالإيمان، وبقي بينه وبين عبد المطلب أربعة آباء

وهم: كلاب وقصي وعبد مناف وهشام، ولم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا.

وأما عبد المطلب ففيه ثلاثة أقوال، **أحدها**: وهو الأشبه: أنه لم تبلغه الدعوة، لأجل الحديث الذي في البخاري وغيره.

**والثاني**: أنه كان على التوحيد وملة إبراهيم، وهو ظاهر عموم قول الإمام فخر الدين وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن عيينة وغيرهما في تفسير الآيات السابقة.

**والثالث**: أن اللّه أحياه بعد بعثة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم حتى آمن به، وأسلم ثم مات، حكاه ابن سيد الناس، وهذا أضعف الأقوال وأسقطها وأوهاها، لأنه لا دليل عليه ولم يرد قط في حديث لا ضعيف ولا غيره ولا قال بهذا القول أحد من أئمة السنة، إنما حكوه عن بعض الشيعة ولهذا اقتصر غالب المصنفين على حكاية القولين الأولين وسكتوا عن حكاية الثالث، لأن خلاف الشيعة لا يعتد به.

قال السهيلي في «الروض الآنف»: وفي الصحيح أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم دخل على أبي طالب عند موته وعنده أبو جهل وابن أبي أمية وقال: يا عم! قل: لا إله إلا اللّه، كلمة أشهد لك بها عند اللّه، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال: أنا على ملة عبد المطلب.

قال: وظاهر هذا الحديث يقتضي أن عبد المطلب مات على الشرك. قال: ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافاً في عبد المطلب، وأنه قد قيل فيه: مات مسلماً لما رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد ـ فاللّه أعلم، غير أن في مسند البزار وكتاب النسائي من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال لفاطمة رضي اللّه عنها وقد عزت قوماً من الأنصار: لعلك بلغت معهم الكدى؟ فقالت: لا، فقال: لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك.

قال: وقد أخرجه أبو داود ولم يذكر فيه: حتى يراها جد أبيك، قال: وفي قوله: جد أبيك، ولم يقل: جدك، تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن اللّه أحيا أباه وأمه وآمنا به ـ فاللّه أعلم، قال: ويحتمل أنه أراد تخويفها بذلك، لأن قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم حق وبلوغها معهم الكدى لا يوجب خلوداً في النار، هذا كله كلام السهيلي بحروفه.

وقال الشهرستاني في «الملل والنحل»: ظهر نور النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في أسارير عبد المطلب بعض الظهور، وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده. وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق

وينهاهم عن دنيات الأمور، وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة ـ إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر في ذلك فقال: واللّٰه إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء بإساءته؛ وببركة ذلك النور قال لأبرهة: إن لهذا البيت رباً يحفظه، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس:

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً[1] محالك
فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

انتهى كلام الشهرستاني.

ومتناسق ما ذكره ما أخرجه ابن سعد في «طبقاته» عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما: كانت الدية عشراً من الإبل، وعبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل، فجرت في قريش والعرب مائة من الإبل أقرها رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم. وينضم إلى ذلك أن النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم انتسب إليه يوم حنين فقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذا أقوى ما يقوى به مقالة الإمام فخر الدين ومن وافقه لأن الأحاديث وردت في النهي عن الانتساب إلى الآباء الكفار.

روى البيهقي في «الشعب» من حديث أبي بن كعب ومعاذ بن جبل: أن رجلين انتسبا على عهد رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، أنا فلان بن فلان، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم: «انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان ـ إلى تسعة، وقال الآخر: أنا فلان بن فلان الإسلام، فأوحى اللّٰه إلى موسى: هذان المنتسبان أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة آباء في النار فأنت عاشرهم في النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين فأنت ثالثهما في الجنة».

وروى البيهقي أيضاً عن أبي ريحانة عن النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم قال: «من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً وشرفاً فهو عاشرهم في النار».

وروى البيهقي أيضاً عن ابن عباس ـ رضي اللّٰه عنهما ـ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه

(١) المشهور «أبداً» لا كما ورد هنا «عدواً».

عليه وآله وسلم قال: «لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده! لما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية».

وروى البيهقي أيضاً عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «إن اللَّه قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على اللَّه من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها».

والأحاديث في ذلك المعنى كثيرة، وأوضح من ذلك في التقرير أن البيهقي أورد في «شعب الإيمان» حديث مسلم: إن في أمتي أربعاً من أمر الجاهلية ليسوا بتاركين: الفخر في الأحساب ـ الحديث.

وقال عقبه: وإن عورض هذا الحديث بحديث النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في اصطفاء بني هاشم فقد قال الحليمي: لم يرد بذلك الفخر، إنما أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم كرجل يقول: كان أبي فقيهاً، لا يريد به الفخر وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه؛ قال: وقد يكون أراد به الإشارة بنعمة اللَّه عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء ـ انتهى، فقوله: أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم أو الإشارة بنعمة اللَّه عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر فيه، تقوية لمقالة الإمام فخر الدين وإجرائها على عمومها، كما لا يخفى إذ الاصطفاء لا يكون إلا لمن هو على التوحيد.

ولا شك أن الترجيح في عبد المطلب بخصوصه عسير جداً لأن حديث البخاري وهو الذي فيه منع أبو جهل أبا طالب من الإيمان باستدلال ملة عبد المطلب مصادم قوي، وإن أخذ في تأويله لم يوجد تأويل قريب، والتأويل البعيد يأباه أهل الأصول، ولهذا لما رأى البيهقي تصادم الأدلة لم يقدر على الترجيح فوقف ـ فاللَّه أعلم.

وهذا يصلح أن يعد قولاً رابعاً وهو الوقف، وأكثر ما خطر لي في تأويل الحديث وجهان بعيدان فتركتهما.

وأما حديث النسائي فتأويله قريب وقد فتح السهيلي بابه وإن لم يستوف، وإنما سهل الترجيح في جانب عبد اللَّه مع أن فيه معارضاً قوياً وهو حديث مسلم، لأن ما قاله السهيلي تأويل قريب في غاية الجلاء والوضوح، وقامت الأدلة على رجحان جانب التأويل فسهل المصير إليه ـ واللَّه أعلم.

ثم رأيت الإمام أبا الحسن الماوردي أشار إلى نحو ما ذكره الإمام فخر الدين

إلا أنه لم يصرح كتصريحه فقال في كتابه أعلام النبوة: لما كان أنبياء اللّه صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه والإرشاد لخلقه استخلصهم من أكرم العناصر واجتباهم بمحكم الأوامر فلم يكن لنسبهم من قدح، ولمنصبهم من جرح ليكون القلوب أصغى والنفوس لهم أوطأ، فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ولأوامرهم أطوع؛ وإن اللّه استخلص رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم من أطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة.

وقد قال ابن عباس في تأويل قول اللّه تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١]، أي تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبياً، فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه، ثم لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت، لأنهما صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله اللّه للنبوة غاية ولتفرده نهاية فيزول عنه إن شاركه فيه ويماثل منه، فلذلك مات عنه أبواه في صغره، فأما أبوه فمات وهو حمل، وأما أمه فماتت وهو ابن ست سنين، وإذا أخبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام، ليس في آبائه مسترذل ولا مغمور مسبل، بل كلهم سادة قادة، وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة ـ انتهى كلام الماوردي بحروفه.

وقال أبو جعفر النحاس في «معاني القرآن» في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]. روي عن ابن عباس أنه قال: تقلبه في الظهور حتى أخرجه نبياً: وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي: أشعار:

تنقل أحمد نوراً عظيماً ... تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرناً ... إلى أن جاء خير المرسلينا

وقال أيضاً:

حفظ الإله كرامة لمحمد ... آباءه الأمجاد صوناً لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره ... من آدم وإلى أبيه وأمه

وقال الشريف البوصيري صاحب «البردة» رحمه اللّه:

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساورك في علاك وقد ... حال سماء منك دونهم وسماء
إنما مثلوا صفاتك للنـ ... ـاس كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما ... تصدر إلا عن ضوئك الأضواء
لك ذات العلوم من عالم الغيـ ... ـب ومنها لآدم الأسماء

ولم تزل في ضمائر الغيب يختا ... ر لك الأمهات والآباء
ما مضت فترة من الرسل إلا ... بشرت قومها بك الأنبياء
تتباهى بك العصور وتسمو ... بك علياء بعدها علياء
وبدا للوجود منك كريم ... من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلى بحلاه ... قلدتها نجومها الجوزاء
ومنها فهنيئاً به لآمنة الفضـ ... ـل الذي شرفت به حواء
من الحواء أنها حملت أحمد ... أو أنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب ... من فخار ما لم تنله النساء
وأتت قومها بأفضل مما ... حملت قبل مريم العذراء

## فائدة

قال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أبي حدثنا موسى بن أيوب النصيبي، حدثنا حمزة عن عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: بين النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وبين آدم ـ عليه السلام ـ تسعة وأربعون أباً.

**الأمر الثالث:** أثر ورد في أم النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم خاصة، أخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» بسند ضعيف من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ غلام يقع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بارك فيك اللّه من غلام ... يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام ... إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرم ... تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام ... فاللّه ينهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً وولدت طهراً، ثم ماتت وكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك:

تبكي الفتاة البرة الأمينه ... ذات الجمال العفة الرزينه

زوجة عبد اللّه والقرينه أم نبي اللّه ذي السكينه
وصاحب المنبر في المدينه صارت لدى حفرتها رهينه

وأنت ترى هذا الكلام منها صريحاً في النهي عن موالاة الأصنام مع الأقوام، والاعتراف بدين إبراهيم عليه السلام، وببعث ولدها إلى الأنام، من عند ذي الجلال والإكرام بالإسلام، وهذه الألفاظ منافية للشرك. وقولها: تبعث بالتحقيق، كذا هو في النسخة، وعندي أنه تصحيف وإنما هو بالتخفيف.

ثم إني استقرأت أمهات الأنبياء عليهم السلام فوجدتهن مؤمنات، فأم إسحاق وموسى وهارون وعيسى وموسى وحواء أم شيث عليهم السلام مذكورات في القرآن بل قيل بنبوتهن، ووردت الأحاديث بإيمان هاجر أم إسماعيل وأم يعقوب وأمهات أولاده وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذي الكفل عليهم السلام، ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح وأم إبراهيم عليهم السلام، ورجحه ابن حبان في تفسيره.

وقد تقدم عن ابن عباس رضي اللّه عنهما: أنه لم يكن بين نوح وآدم عليهما السلام ولد كافر، ولهذا قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨].

وقال إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] ولم يعتذر عن استغفار إبراهيم في القرآن إلا لأبيه خاصة دون أمه، فدل على أنها كانت مؤمنة.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» وصححه عن ابن عباس قال: كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة، نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل، وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم الصلاة والسلام؛ وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث عيسى فكفر به من كفر، فأمهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كلهن مؤمنات، وأيضاً فغالب أنبياء بني إسرائيل كانوا أولاد أنبياء أو أولادهم فإن النبوة كانت تكون في سبط منهم يتناسلون كما هو معروف في أخبارهم.

وأما العشرة المذكورون من غير بني إسرائيل فقد ثبت إيمان أم نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، يحتاج إلى نقل أو دليل، والظاهر إن شاء اللّه تعالى إيمانهن، فكذلك أم النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، وكان السر في ذلك ما يرينه من النور، ورد في الحديث.

أخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «إني عند اللَّه لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينة، وسأخبركم عن ذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت». وكذلك أمهات النبيين يرين وإن أم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام، ولا شك أن الذي رأته أم النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في حال حملها به وولادتها له من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء، كما سقنا الأخبار بذلك في كتاب المعجزات.

وقد ذكر بعضهم: أنه لم يرضعه مرضعة إلا أسلمت، قال: ومرضعاته أربع: أمه وحليمة السعدية، وثويبة، وأم أيمن ـ انتهى.

فإن قلت: فما تصنع بالأحاديث الدالة على كفرها وأنها في النار؟ وهي حديث أنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «ليت شعري ما فعل أبواي!» فنزلت: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

وحديث أنه استغفر لأمه فضرب جبرئيل في صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً. وحديث أنه نزل فيها:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]. وحديث أنه قال لابني مليكة: أمكما في النار، فشق عليهما فدعاهما فقال: إن أمي مع أمكما.

قلت: الجواب أن غالب ما يروى من ذلك ضعيف، ولم يصح في أم النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم سوى حديث أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له، ولم يصح أيضاً في أمه إلا حديث مسلم خاصة، وسيأتي الجواب عنهما.

وأما الأحاديث التي ذكرت فحديث: ليت شعري ما فعل أبواي! فنزلت الآية، لم يخرج في شيء من كتب الأحاديث المعتمدة، وأما ذكره في بعض التفاسير بسند منقطع فلا يحتج به ولا يعول عليه.

ولو جئتنا تحتج بالأحاديث الواهية لعارضناك بحديث واه: أخرجه ابن الجوزي من حديث علي رضي اللَّه عنه مرفوعاً: هبط جبرئيل عليّ فقال: إن اللَّه يقرئك السلام ويقول: إني حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وَحِجْر كفلك. ويكون من باب معارضة الواهي بالواهي إلا أنا لا نرى ذلك ولا نحتج به.

ثم إن هذا السبب مردود بوجوه أخرى من جملة الأصول والبلاغة وأسرار البيان، وذلك أن الأبيات من قبل هذه الآية ومن بعدها كلها في اليهود من قوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ ـ إلى

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة: من ٤٠ إلى ١٢٤]، ولهذا ختمت القصة بمثل ما صدرت به وهو قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ـ الآيتين؛ فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب.

وقد ورد ذلك مصرحاً به في الأثر، أخرج عبد بن حميد والفريابي وابن جرير وابن المنذر في تفاسيرهم عن مجاهد قال: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في المنافقين، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل إشارة صحيحة، ومما يؤكد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود، وترشح ذلك من حيث المناسبة أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار.

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾، ما عظم من النار.

أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤]، قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم ثم الهاوية، قال: والجحيم فيها أبو جهل. إسناده صحيح أيضاً، فاللائق لهذه المنزلة من عظم كفره وأشد وزره وعاند عند الدعوة وبدّل وحرّف وجحد بعد علم، لا من هو بمظنة التخفيف، وإذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً لقرابته منه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم وبره به مع إدراكه الدعوة وامتناعه من الإجابة وطول عمره، فما ظنك بأبويه اللذين هما أشد منه قرباً وآكد حباً، وأبسط عذراً وأقصر عمراً! فمعاذ اللّٰه أن يظن أنهما في طبقة الجحيم وأن يشدد عليهما العذاب العظيم! هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم.

وأما حديث أن جبرئيل ضرب في صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً، فإن البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف، وأما حديث نزول الآية في ذلك فضعيف أيضاً، والثابت في الصحيح أنها نزلت في أبي طالب وقوله صلى اللّٰه عليه وآله وسلم له: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك».

وأما حديث: أمي مع أمكما، فأخرجه الحاكم في «مستدركه» وقال: صحيح، وشأن المستدرك في تساهله في التصحيح معروف، وقد تقرر في علوم الحديث أنه لا يقبل تفرده بالصحيح.

ثم إن الذهبي في «مختصر المستدرك» لما أورد هذا الحديث ونقل قول

الحاكم: صحيح، قال عقبة: قلت: لا واللَّه! فعثمان بن عمير ضعفه الدارقطني، فبين الذهبي ضعف الحديث وحلف عليه يميناً شرعياً. وإذا لم يكن في المسألة إلا أحاديث ضعيفة كان للنظر في غيرها مجال.

**الأمر الرابع**: فيما ننتصر به لهذا المسلك أنه قد ثبت عن جماعة كانوا في زمن الجاهلية أنهم حنفوا وتدينوا بدين إبراهيم عليه السلام وتركوا الشرك، فما المانع أن يكون أبوا النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم سلكا سبيلهما في كل ذلك؟

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في «التلقيح»: تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية: أبو بكر الصديق، زيد بن عمرو بن نفيل، عبد اللَّه بن جحش، عثمان بن الحويرث، ورقة بن نوفل، رباب بنت البراء، أسعد بن كريب الحميري، قس بن ساعدة الأيادي، أبو قيس بن صرمة ـ انتهى.

وقد وردت الأحاديث بتحقيق زيد بن عمرو بن نفيل وورقة وقس، وقد روى ابن إسحاق وأصله في الصحيح تعليقاً عن أسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنهما قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش! ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجود إليك عبدتك به ولكني لا أعلم.

قلت: ويؤيد هذا ما تقدم في المسلك الأول أنه لم يبق إذ ذاك من يبلغ الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها.

وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن عمرو بن عبسة السلمي، قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها الباطل يعبدون الحجارة.

أخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في «الدلائل» من طريق الشعبي عن شيخ من جهينة: أن عمرو بن حبيب أدرك الإسلام.

وقال إمام الأشاعرة الشيخ أبو الحسن الالأشعري: وأبو بكر ما زال بعين الرضا منه، فاختلف الناس في مراده بهذا الكلام فقال بعضهم: إن الأشعري يقول: إن أبا بكر الصديق كان مؤمناً قبل البعثة، وقال آخرون: بل أراد أنه لم يزل بحالة مغضوب فيها عليه لعلم اللَّه تعالى بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة الأبرار. وقال الشيخ تقي الدين السبكي: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة في ذلك، وهذه العبارة التي قالها الأشعري في حق الصديق لم يحفظ عنه في حق غيره؛ فالصواب أن يقال: لم يثبت عنه حالة كفر باللَّه فلعل حاله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه

فلهذا خصص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة ـ انتهى كلام السبكي.

قلت: وكذلك نقول في حق أبوي النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم: إنهما لم يثبت عنهما حالة كفر باللّٰه فلعل حالهما كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأبي بكر الصديق وأضرابهما، مع أن الصديق وزيد بن عمرو إنما حصل لهما التخفيف في الجاهلية ببركة النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة وكانا يودانه كثيراً فأبواه أولى بعود بركته عليهما وحفظهما مما كان عليه أهل الجاهلية.

فإن قلت: بقيت عقدة واحدة وهي ما رواه مسلم عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول اللّٰه أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفا دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار. وحديث مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ـ رضي اللّٰه عنه ـ أن النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم استأذن في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له. فاحلل هذه العقدة.

قلت: على الرأس والعين الجواب، إن هذه اللفظة وهي قوله: إن أبي وأباك في النار، لم يتفق على ذكرها الرواة، وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وهي الطريق التي رواه مسلم منها، وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر: إن أبي وأباك في النار، ولكن قال له: إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى اللّٰه عليه وآله وسلم بأمر البتة وهو أثبت من حيث الرواية، فإن معمراً أثبت من حماد، فإن حماداً تُكلم في حفظه، ووقع في أحاديثه مناكير، ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه، وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها؛ ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئاً، ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت.

قال الحاكم في «المدخل»: ما خرج مسلم لحماد في الأصول إلا من حديثه عن ثابت، وقد خرج له في الشواهد عن طائفة، وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه، واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت.

ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس، فأخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري، عن عامر بن سعد عن أبيه: أن أعرابياً قال لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم: أين أبي؟ قال: في النار، قال: فأين أبوك؟ قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

وهذا إسناد على شرط الشيخين، فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره.

وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره قال: فأسلم الأعرابي بعد، فقال: لقد كلفني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم تعباً، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

وقد أخرج ابن ماجه من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم فقال: «يا رسول اللَّه إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو؟ قال: في النار. قال: فكأنه وجد من ذلك. فقال: يا رسول اللَّه، فأين أبوك؟ قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار»، فأسلم الأعرابي بعد، فقال: لقد كلفني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم تعباً، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذي صدر منه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ورآه الأعرابي بعد إسلامه أمراً مقتضياً للامتثال فلم يتعبه إلا امتثاله. ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشيء البتة، فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوي، رواه بالمعنى على حسب فهمه.

وقد وقع في «الصحيحين» روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظ تصرف فيه الراوي وغيره أثبت منه كحديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة، وقد أعله الإمام الشافعي رضي اللَّه عنه بذلك وقال: إن الثابت من طريق آخر ينفي سماعها ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فأخطأ.

ونحن أجبنا عن حديث مسلم في هذا المقام بنظير ما أجاب به إمامنا الإمام الشافعي رضي اللَّه عنه عن حديث مسلم في نفي قراءة البسملة، ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأول كان معارضاً لما تقدم من الأدلة.

والحديث الصحيح إذا عارضه أدلة أخرى هي أرجح منه وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقر في الأصول.

وبهذا الجواب الأخير يجاب عن حديث عدم الإذن في الاستغفار لأمه على أنه يمكن فيه دعوى عدم الملازمة بدليل أنه كان في صدر الإسلام ممنوعاً من الصلاة على من عليه دين وهو مسلم فلعله كانت علتها تبعات غير الكفر فمنع أيضاً من الاستغفار لها بسببها، والجواب الأول أنقد وهذا تأويل في الجملة.

ثم رأيت طريقاً للحديث مثل لفظ رواية معمر وأزيد وضوحاً وذلك أنه صرح فيه بأن السائل أراد أن يسأل عن أبيه صلى اللَّه عليه وآله وسلم فعدي عن ذلك تأملاً وتأدباً، فأخرج الحاكم في «المستدرك» وصححه عن لقيط بن عامر أنه خرج وافداً

إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال: فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب فصلينا معه صلاة الغداة، فقام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم في الناس خطيباً ـ فذكر الحديث إلى أن قال: فقلت: يا رسول اللَّه! هل في أحد ممن مضى منا في الجاهلية من خير؟ فقال رجل من عرض قريش: إن أباك المنتفق في النار، فكأنه وقع بحر بين جلد وجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس الناس، فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول اللَّه؟ ثم نظرت فإذا الأخرى أجمل فقلت: وأهلك يا رسول اللَّه؟ قال: ما أتيت عليه من قبر قرشي أو عامري مشرك فقل: أرسلني إليك محمد فأبشرك بما بشرك.

هذه رواية لا إشكال فيها، وهي أوضح الروايات وأبينها تقريراً، وما المانع أن يكون قول السائل: فأين أبوك؟ وقوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم في حديث أنس: إن أبي إن ثبت المراد به عمه أبو طالب لا أبوه عبد اللَّه كما قال بذلك الإمام فخر الدين في أب إبراهيم أنه عمه، وقد تقدم نقله عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما ومجاهد، وابن جريج والسدي، ويرشحه ها هنا أمران:

**الأمر الأول**: إن إطلاق ذلك على أبي طالب كان شائعاً في زمن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ، ولهذا كانوا يقولون له: قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا. وقال لهم أبو طالب مرة ـ لما قالوا له: أعطنا ابنك نقتله وخذ هذا الولد مكانه: أعطيكم ابني تقتلونه وآخذ ابنكم أكفله لكم!

ولما سافر أبو طالب إلى الشام ومعه النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم نزل له بحيراء فقال له: ما هذا منك؟ قال: هو ابني، فقال: ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً. فكانت تسمية أبي طالب أباً للنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم شائعة عندهم لكونه عمه، وكونه رباه وكفله من صغره، وكان يحوطه ويحفظه وينصره، فكان مظنة السؤال عنه.

**الأمر الثاني**: إنه وقع في حديث شبه هذا ذكر أبي طالب في دلائل القصد، أخرج الطبراني عن أم سلمة: أن الحارث بن هشام أتى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم يوم حجة الوداع فقال: يا رسول اللَّه! إنك تحث على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإبرار اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المساكين وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة، فما ظنك به يا رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا اللَّه فهو جذوة من النار، وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار، فأخرجه اللَّه لمكانه مني وإحساني إليّ فجعله في ضحضاح من النار».

## تنبيه

قد استراح جماعة من هذه الأجوبة كلها وأجابوا عن الأحاديث الواردة فيهما بأنها منسوخة كما أجابوا عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار، وقالوا: الناسخ لأحاديث أطفال المشركين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، ولأحاديث الأبوين قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ومن اللطائف كون الجملتين في الفريقين مقرنتين في آية واحدة متعاطفتين متناسقتين في النظم.

وهذا جواب مختصر مفيد يغني عن كل جواب إلا أنه يتأتى على المسلك الأول دون الثاني كما هو واضح، فلهذا احتجنا إلى تحرير الأجوبة عنها على المسلك الثاني.

## تتمة

قد ثبت في الحديث: أن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب. وأنه في ضحضاح من النار في رجليه نعلان يغلي منهما دماغه. وهذا يدل على أن أبوي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ليسا في النار، لأنهما لو كانا فيها لكانا أهون عذاباً من أبي طالب لأنهما أقرب منه مكاناً وأبسط عذراً، لأنهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الإسلام فامتنعا بخلاف أبي طالب، وقد أخبر الصادق المصدوق ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم: أنه أهون أهل النار عذاباً، فليس أبواه من أهلها، وهذا يسمى عند أهل الأصول دلالة الإشارة.

## منصب ميدان جدلي

المجادلون في هذا الزمان كثير خصوصاً في هذه المسألة وأكثرهم ليس لهم معرفة بطرق الاستدلال فالكلام معهم ضائع غير أني أنظر الذي يجادل وأكلمه بطريق يقرب من ذهنه فإنه أكثر ما عنده أن يقول: الذي ثبت في صحيح مسلم يدل على خلاف ما تقول، فإن كان الذي يجادل بذلك، من أهل مذهبنا شافعي المذهب أقول له: قد ثبت في صحيح مسلم أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقرأ[١] في الصلاة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وأنت لا تصحح الصلاة بدون البسملة. وثبت في الصحيح أنه صلى اللّه عليه

(١) يقصد الحديث في صحيح مسلم عن أنس: في نفي قراءة البسملة.

وآله وسلم قال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا، وإذا قال: سمع اللّه لمن حمده فقولوا: ربنا لك الحمد، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون»؛ وأنت ـ إذا قال: سمع اللّه لمن حمده ـ تقول: سمع اللّه لمن حمده مثله، وإذا صلى جالساً بعذر وأنت قادر تصلي خلفه قائماً لا جالساً.

وثبت في الصحيحين في حديث التيمم: إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا، ثم ضرب بيده ضربة واحدة ومسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه، وأنت لا تكتفي في التيمم بضربة واحدة ولا بالمسح إلى الكوعين، فكيف خالفت الأحاديث التي ثبتت في الصحيحين أو أحدهما؟ فلا بد إن كانت عنده رائحة من العلم أن يقول: قامت أدلة أخرى معارضة لهذه فقدمت عليها، فأقول له: وهذا مثله لا يحتج عليه إلا بهذه الطريقة فإنها ملزمة له ولأمثاله.

فإن كان المجادل مالكي المذهب أقول له: قد ثبت في الصحيحين: المتبائعان بالخيار ما لم يتفرقا، وأنت لا تثبت خيار المجلس، وثبت في صحيح مسلم: أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم توضأ ولم يمسح كل رأسه، وأنت توجب في الوضوء مسح كل الرأس، فكيف خالفت ما ثبت في الصحيح؟ فيقول: قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه، فأقول له: وهذا مثله.

وإن كان المجادل حنفي المذهب أقول له: قد ثبت في الصحيحين: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً، وأنت لا تشترط في النجاسة الكلبية سبعاً.

وثبت في الصحيحين: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، وأنت تصحح الصلاة بدونها. وثبت في الصحيحين: «ثم ارفع حتى تعتدل قائماً»، وأنت تصحح الصلاة بدون الطمأنينة في الاعتدال. وصح في الحديث: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً»، وأنت لا تعتبر القلتين.

وصح في الصحيحين: أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم باع المدبر، وأنت لا تقول ببيع المدبر، فكيف خالفت هذه الأحاديث الصحيحة؟ فيقول: قامت أدلة أخرى معارضة لها فقدمت عليها، فأقول له: وهذا مثله.

وإن كان المجادل حنبلي المذهب أقول له: قد ثبت في الصحيحين: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم»، وثبت فيهما: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين». وأنت تقوم بصيام يوم الشك، فكيف خالفت ما ثبت في الصحيحين؟ فيقول: قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه، فأقول له: وهذا مثله، هذا أقرب بالقرب به لأذهان الناس اليوم.

وإن كان المجادل ممن يكتب الحديث ولا فقه عنده يقال له: قد قالت الأقدمون: المحدث بلا فقه كعطار غير طبيب، فالأدوية حاصلة في دكانه ولا يدري لماذا تصلح، والفقيه بلا حديث كطبيب ليس بعطار يعرف ما يصلح له الأدوية إلا أنها ليست عنده.

وإني بحمد اللّه قد اجتمع عندي الحديث والفقه والأصول وسائر الآلات من العربية والمعاني والبيان وغير ذلك؛ فأنا أعرف كيف أتكلم، وكيف أقول، وكيف أستدل، وكيف أرجح. أما أنت يا أخي - وفقني اللّه وإياك - فلا يصلح لك ذلك لأنك لا تدري الفقه ولا الأصول، ولا شيئاً من الآلات والكلام في الحديث، والاستدلال به ليس بالهين ولا يحل الإقدام على التكلم فيه لمن لم يجمع هذه العلوم، فاقتصر على ما آتاك اللّه وهو أنك إذا سئلت عن حديث تقول: ورد أو لم يرد، وصححه الحفاظ أو حسنوه أو ضعفوه، لا يحل لك في الإفتاء سوى هذا القدر وخل ما عدا ذلك لأهله.

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وثم أمر آخر أخاطب به كل ذي مذهب من مقلدي المذاهب الأربعة، وذلك أن مسلماً روى في صحيحه عن ابن عباس رضي اللّه عنهما: أن طلاق الثلاث كان يجعل واحدة في عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر رضي اللّه عنهما. فأقول لكل طالب علم: هل تقول أنت بمقتضى هذا الحديث: إن من قال لزوجته: أنت طالق ثلاثاً، تطلق واحدة فقط؟ فإن قال: نعم، أعرضت عنه، وإن قال: لا، أقول له: فكيف تخالف ما ثبت في صحيح مسلم؟ فإن قال: لما عارضه؛ أقول له: فاجعل هذا مثله. والمقصود من سياق هذا كله أنه ليس كل حديث في صحيح مسلم يقال بمقتضاه لوجود المعارض له.

## المسلك الثالث

إن اللّه أحيا له أبويه حتى آمنا به، وهذا المسلك مال إليه طائفة كبيرة من حفاظ المحدثين وغيرهم، منهم: ابن شاهين والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين بن المنير وغيرهم، واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ»، والخطيب البغدادي في «السابق واللاحق» والدارقطني وابن عساكر كلاهما في «غرائب مالك» بسند ضعيف عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: حج بنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فنزل فمكث عني

طويلاً ثم عاد إليّ وهو فرح متبسم، فقلت له، فقال: ذهبت بقبر أمي فسألت اللَّه أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردها اللَّه.

هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين بل قيل: إنه موضوع، لكن الصواب ضعفه لا وضعه، وقد ألفت في بيان ذلك جزءاً مفرداً. وأورد السهيلي في «الروض الآنف» بسند قال: إن فيه مجهولين عن عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما.

وقال السهيلي بعد إيراده: اللَّه قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه صلى اللَّه عليه وآله وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته.

وقال القرطبي: لا تعارض بين حديث الإحياء وحديث النهي عن الاستغفار، وإن حديث إحيائهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة رضي اللَّه عنها: أن ذلك كان في حجة الوداع، ولذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار.

وقال العلامة ناصر الدين بن المنير المالكي في كتاب «المقتفى في شرف المصطفى»: قد وقع لنبينا صلى اللَّه عليه وآله وسلم إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم ـ إلى أن قال: وجاء في حديث أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لما منع من الاستغفار للكفار دعا اللَّه أن يحيي له أبويه فأحياهما فآمنا به وصدقا وماتا مؤمنين.

وقال القرطبي: فضائل النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته فيكون هذا مما فضله اللَّه به وأكرمه، قال: وليس إحياؤهما وإيمانهما به الممتنع عقلاً ولا شرعاً.

وقد ورد في القرآن إحياء قتيل بني إسرائيل والإخبار بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا صلى اللَّه عليه وآله وسلم أحيا اللَّه على يديه جماعة من الموتى قال: وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته.

وقال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس في سيرته بعد ذكر قصة الإحياء والأحاديث الواردة في التعذيب: وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين الروايات ما حاصله أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض اللَّه روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه لديه من الكرامات حين القدوم عليه، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى اللَّه

عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض ـ انتهى.

وقد أشار بعض العلماء إلى ذلك فقال بعد إيراده خبر حليمة وما أسداه صلى اللَّه عليه وآله وسلم إليها حين قدومها عليه:

هذا جزاء الأم عن إرضاعه لكن جزاء اللَّه عنه عظيم
وكذاك أرجو أن يكون لأمه عن ذاك آمنة بدر نعيم
ويكون أحياها الإله وآمنت بمحمد فحديثها معلوم
فلربما سعدت به أيضاً كما سعدت به بعد الشقاء حليم

وقال الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه المسمى «مورد الصادي في مولد الهادي» بعد إيراد الحديث منتشداً لنفسه:

حبا اللَّه النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا

## خاتمة

وجمع من العلماء لم تقو عندهم هذه المسالك فأبقوا حديثي مسلم ونحوهما على ظاهرها من غير عدول عنهما بدعوى نسخ ولا غيره ومع ذلك قالوا: لا يجوز لأحد أن يذكر ذلك. قال السهيلي في «الروض الآنف» بعد إيراده حديث مسلم: وليس لنا بحق أن نقول ذلك في أبويه صلى اللَّه عليه وآله وسلم لقوله: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد الأئمة المالكية عن رجل قال: إن آباء النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في النار، فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾، قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه: إنه في النار.

ومن العلماء من ذهب إلى قول خامس وهو الوقف. قال الشيخ تاج الدين الفاكهاني في كتابه «الفجر المنير»: اللَّه أعلم بحال أبويه. وقال الباجي في «شرح الموطأ»: قال بعض العلماء: إنه لا يجوز أن يؤذى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بفعل مباح ولا غيره، وأما غيره من الناس فيجوز أن يؤذى بمباح، وليس له المنع منه، ولا يأثم فاعل المباح وإن وصل بذلك أذى إلى غيره؛ قال: ولذلك قال النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم إذا أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج ابنة أبي جهل: «إنما

فاطمة بضعة مني وإني لا أحرم ما أحل اللّٰه تعالى، ولكن واللّٰه لا تجتمع ابنة رسول اللّٰه وابنة عدو اللّٰه عند رجل أبداً!» فجعل حكمها في ذلك حكمه أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح.

واحتج على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ـ الآيتين، فشرط على المؤمنين أن يؤذوا ﴿بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ﴾ وأطلق الأذى في خاصة النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم من غير شرط ـ انتهى.

## المسألة

وقد سئلت أن أنظم في هذه المسألة أبياتاً أختم بها هذا التأليف فقلت:

إن الذي بعث النبي محمداً ... أنجى به الثقلين مما يجحف
ولأمه وأبيه حكم شائع ... أبداه أهل العلم فيما صنفوا
فجماعة أجروها مجرى الذي ... لم يأته خبر الدعاة المسعف
والحكم فيمن لم تجئه دعوة ... أن لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم ... والأشعرية ما بهم متوقف
وبسورة الإسراء فيه حجة ... وبنحو ذا في الذكر آي تعرف
ولبعض أهل الفقه في تعليله ... معنى أرق من النسيم وألطف
إذ هم على الفطر التي ولدوا ولم ... يظهر عناد منهم وتخلف
ونحا الإمام الفخر رازي الورى ... منحىً به للسامعين تشنف
قال الألى ولدوا النبي المصطفى ... كل على التوحيد إذ يتحنف
من آدم لأبيه عبد اللّٰه ما ... فيهم أخو شرك ولا مستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة ... نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب ... في الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين في ... أسراره هطلت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه ... وحباه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين في زمان الجاهليـ ... ـة فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو بن نفيل هكذا الصـ ... ـديق ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكي بذاك مقالة ... للأشعري وما سواه مزيف
إن لم يكن عين الرضا منه على الصـ ... ـديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادي فما ... في الجاهلية للضلالة يعرف
فلأمه وأبوه أحرى سيما ... دارت من الآيات ما لا يوصف

وجـمـاعـة ذهـبـوا إلـى إحـيـائـه أبـويـه حـتـى آمـنـا لا خـوفـوا
وروى ابـن شـاهـين حـديـثـاً مـسـنـداً فـي ذاك لـكـن الـحـديـث مـضـعـف
هـذا مـسـالـك لـو تـفـرد بـعـضـهـا لـكـفـى فـكـيـف لـهـا إذا تـتـألـف
وبـحـسـب مـن لا يـرتـضـيـهـا صـمـتـه أدبـاً ولـكـن أيـن مـن هـو مـصـنـف
صـلـى الإلـه عـلـى الـنـبـي مـحـمـد مـا جـدد الـديـن الـحـنـيـف مـحـنـف

## حديث يتعلق بهما

قال البيهقي في «شعب الإيمان»: أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو جعفر الرازي أنبأ يحيى بن جعفر أنا زيد بن الحباب أنا ياسين بن معاذ ثنا عبد اللَّه بن يزيد عن طلق بن علي قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقول: «لو أدركت والدي أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء وقد قرىء فيها بفاتحة الكتاب فنادى: يا محمد لأجبتهما: قال البيهقي: ياسين بن معاذ ضعيف.

## فائدة

قال الأزرقي في «تاريخ مكة»: حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن هشام بن عاصم الأسلمي قال: لما خرجت إلى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في غزوة أحد فنزلوا بالأبواء، قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان بن حرب: لو بحثتم قبر آمنة أم محمد ـ صلى اللَّه عليه وآله وسلم ـ فإنه بالأبواء فإن أسر أحد منكم افتديتم به كل إنسان بإرب من آرابها، فذكر ذلك أبو سفيان لقريش، فقالت قريش: لا تفتح علينا هذا الباب إذن يبحث بنو بكر موتانا.

## فائدة

من شعر عبد اللَّه والد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم أورده الصلاح الصفدي في تذكرته:

لـقـد حـكـم الـسـارون فـي كـل بـلـدة بـأن لـنـا فـضـلاً عـلـى سـادة الأرض
وأن أبـي ذو الـمـجـد والـسـؤدد الـذي يـشـار بـه مـا بـيـن بـسـر إلـى حـفـض
وجدي وآبـاء لـه أبـلـوا الـعـلـى قـديـمـاً لـطـلـب الـعـرف والـحـسـب الـمـحـض

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

# نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين

الحمد للَّه وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى؛ هذا تأليف يسمى نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين، قال اللَّه تعالى حكاية عن نبينا محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤١]، قد ألفت عدة مؤلفات في نجاة والدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم، وبينت فيها مسالك الناس في ذلك وما لهم من مقال وحجج واستدلال مع علمي بالأحاديث الواردة بما يخالف ذلك وقول كثير من العلماء بمقتضاها، وقصدي بنصرة تلك الأقوال أمور:

**أحدها**: كف الناس عن التكلم بذلك القول الصعب، لأن الأئمة قد قضوا على أنه ليس لنا أن نقوله لأنه يؤذي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم، وقال الإمام السهيلي في «الروض الأنف» بعد إيراده حديث مسلم وغيره: وليس لنا أن نقول ذلك في أبويه صلى اللَّه عليه وآله وسلم لقوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «لا تؤذوا الأحياء بالأموات»، واللَّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن آباء النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في النار، فأجاب بأنه ملعون لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ ـ الآية، قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار، وذكر القاضي عياض في «الشفاء» أن كاتب عمر بن عبد العزيز رحمه اللَّه قال بحضرته: كان أبو النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم كافراً، فعزله وقال: لا تكتب لي أبداً والأثر في «الحلية» لأبي نعيم، وفي ذم الكلام للهروي وفيه: إن عمر لما سمعه ذلك فغضب غضباً شديداً وعزله من الدواوين.

**الثاني**: شرح صدور المؤمنين بذلك، لأن كل من سمع أن من العلماء من قال بنجاة والدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ودخولهما الجنة وأنه استخرج لذلك دليلاً وأخرجه على قاعدة مقررة فإنه بلا شك ينشرح صدره ويفرح قلبه ويسر

خاطره ويعجبه ذلك، وإذا كانت المسائل الخلافية يجوز للإنسان فيها أن ينتقل عن قول مذهبه ويقلد مذهب غيره، لأن فيه له فسحة وفرجاً كتقليد من هو متمذهب لمذهب الشافعي لمذهب الحنابلة في جعل الخلع فسخاً لا طلاقاً، ومن هو متمذهب لأبي حنيفة لمذهب الشافعية في عدم الصفة، ونظائر ذلك؛ فالاقتداء في هذه المسألة بأقوال القائلين بالنجاة أولى بلا شك، وللأولوية وجوه:

منها أن الانتقال في تلك المسائل إليها إنما هو لغرض نفسه لإزاحة الحرج عنه وجلب التيسير له، والانتقال في هذه لمجرد السرور بما يقر عين المصطفى صلى اللَّه عليه وآله وسلم فيه غرض للنفس البتة.

ومنها أن في ذلك إظهار السرور بما يسر المصطفى صلى اللَّه عليه وآله وسلم والمساءة بما يشق عليه.

ومنها أن فيه الإشارة بشرف وفضيلة لأصوله، ومعجزة وخصوصية له.

ومنها أن فيه شغلاً للناس بهذا القول عن اشتغالهم ذلك القول الذي حث العلماء على السكوت عنه.

ومنها أنه ليس فيه ضرر البتة ولا فوات حق ولا ترتب شيء في الذمة بخلاف تلك المسائل فإن فيها ترتب منع وتحريم عند المذهب المنتقل عنه؛ ولهذا كان الورع في مسائل الخلاف الأخذ بالأحوط.

**الثالث**: التقرب إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وطلب مرضاته والتوسل إلى شفاعته بالسعي في تقرير هذا الأمر، وإعمال الجهد في استخراج النقول والأدلة وضم بعضها إلى بعض، فإن في ذلك أجراً عظيماً.

ولا شك أنها مسألة اجتهادية، الساعي فيها مأجور على كل حال أصاب الحق في نفس الأمر أم أخطأ، ثم إن أصاب كان له أجران وإن أخطأ كان له أجر واحد.

وقد بلغني عن رجل من أهل العلم بالحديث أنه عارضني في ذلك وألف كتاباً وقرر فيه أنهما في النار، فأجاب عن حجج القائلين بنجاتهما ووهاها؛ فالحمد للَّه المنعم المتفضل، ولا شك أن الأجوبة التي وهى بها تلك الحجج يعرف سقمها من كتبنا المؤلفة في المسألة فلا حاجة إلى الاشتغال بها، وبقي أمر واحد يختص بصناعة الحديث وذلك أنه قطع وجزم بأن الحديث الذي ورد في إحيائهما موضوع، ونحن أشرنا هناك إلى أن الصواب أنه ضعيف لا موضوع، فإن الحفاظ في ذلك مختلفون لم يتفقوا على الحكم بوضعه، بل منهم من حكم بوضعه ومنهم من حكم بضعفه فقط وهو الصواب؛ فألفت هذا الجزء في بيان ذلك ـ واللَّه الموفق.

فنقول: قال الحافظ أبو حفص بن شاهين في كتابه «الناسخ والمنسوخ»: حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الأنصار، ثنا محمد بن يحيى الحضرمي بمكة، ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي اللّٰه عنها أن النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم نزل إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء ربه عز وجل، ثم رجع مسروراً فقلت: يا رسول اللّٰه، نزلت إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقمت به ما شاء اللّٰه، ثم رجعت مسروراً قال: «سألت ربي عزَّ وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها».

هذا الحديث أخرجه ابن شاهين هكذا في «الناسخ والمنسوخ» وجعله ناسخاً للأحاديث الواردة أنه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم استأذن ربه في الاستغفار لأمه فلم يأذن له.

وللحديث الوارد أنه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم قال: «يا ابني مليكة أمكما في النار، ثم قال: أمي مع أمكما في النار»!

وقد أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» وقال: محمد بن زياد هو النقاش ليس بثقة، وأحمد بن يحيى، ومحمد بن يحيى مجهولان. قلت: أما محمد بن يحيى فقد ذكره الذهبي في الميزان والمغني معاً فقال: محمد بن يحيى أبو غزية المدني الزهري، قال الدارقطني: مجهول، وقال الأزدي: ضعيف ـ هذه عبارته، فقد عرف بالضعف لا بالوضع، ومن يترجم بهذا لا يكون حديثه في درجة الموضوع، بل في درجة الضعيف.

وقال شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر في لسان الميزان بعد ذكره كلام ابن الجوزي: أما محمد بن يحيى فليس بمجهول بل هو معروف، له ترجمة جيدة في تاريخ مصر لأبي سعيد بن يونس فقال: محمد بن يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف أبو عبد اللّٰه، ولقبه أبو غزية، مدني قدم مصر، وله كنيتان، روى عنه إسحاق بن إبراهيم الكناسي وزكريا بن يحيى الثغري، وسهل بن سوادة الغافقي ومحمد بن عبد اللّٰه بن حكيم ومحمد بن فيروز، ومات في يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين: وقال الدارقطني في «غرائب مالك»: أبو غزية هذا هو الصغير منكر الحديث ـ انتهى.

وأما أحمد بن يحيى الحضرمي فليس بمجهول أيضاً فقد ذكره الذهبي في «الميزان» وقال: روى عن حرملة التجيبي، ولينه أبو سعيد بن يونس ـ انتهى. ومن

يترجم بهذا يعتبر حديثه. وأما محمد بن زياد فإن كان هو النقاش كما ذكره ابن الجوزي فهو أحد العلماء بالقراءات، وأحد الأئمة في التفسير؛ قال الذهبي في «الميزان»: صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه، أثنى عليه أبو عمرو الداني، وحدث بمناكير ـ انتهى. قلت: ومع ذلك فلم ينفرد النقاش ولا أحمد بن يحيى بهذا الحديث، بل له طريقان آخران عن أبي غزية نوردهما:

قال الحافظ محب الدين الطبري في «السيرة»: أخبرنا أبو الحسن المقبري أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي إجازة أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد قال: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن يحيى الزهري، حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي اللّه عنها أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم نزل الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء اللّه، ثم رجع مسروراً قال: «سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها».

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في كتاب «السابق واللاحق»: أخبرنا أبو العلاء الواسطي، حدثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي، حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد، حدثنا علي بن أيوب الكعبي، حدثنا محمد بن يحيى الزهري أبو غزية، حدثنا عبد الوهاب بن موسى، حدثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد عن هشام بن عروة يعني عن أبيه، عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: حج بنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، ثم إنه طفر فنزل فقال: يا حميراء استمسكي، فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلاً، ثم إنه عاد إليّ وهو فرح متبسم فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه، نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم إنك عدت إليَّ فأنت متبسم فممّ يا رسول اللّه؟ قال: «ذهبت بقبر أمي فسألت اللّه أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردها». أخرجه من هذا الطريق الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في «غرائب مالك» وقال: منكر.

قلت: والمنكر من أقسام الضعيف لا الموضوع، وهو أعلى رتبة من المتروك الذي هو أيضاً من قسم الضعيف لا الموضوع كما هو مقرر في علم الحديث. والكعبي فيه جهالة، وأبو طالب عمر بن الربيع الخشاب ضعفه الدارقطني، وقال سلمة بن قاسم: تكلم فيه قوم ووثقه آخرون وكان كثير الحديث، توفي سنة أربعين وثلاث مائة بمصر؛ فعرف أن مدار الحديث على أبي غزية وهو ضعيف، وأما شيخه عبد الوهاب بن موسى الزهري فيكنى بأبي العباس، ذكره الخطيب في الرواة عن

مالك وأورد له أثراً من طريق سعيد بن الحكم بن أبي مريم المصري قال: حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، حدثنا مالك بن أنس، حدثني عبد اللّٰه بن دينار، عن سعد بن الحارث مولى عمر بن الخطاب أن كعب الأحبار ـ رضي اللّٰه عنه ـ قال لعمر بن الخطاب ـ رضي اللّٰه عنه ـ: إنا لنجدك في كتاب اللّٰه على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة. وهذا الأثر معروف عن مالك أخرجه ابن سعد في «الطبقات» عن معن بن عيسى، عن مالك بسنده ومتنه سواء، فزال جهالة عين عبد الوهاب التي ظنها الذهبي برواية ثان عنه بروايته المعروفة، وكان الحديث عنه من طريقين عن مالك عن أبي الزناد عن هشام، وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عنه، فرواه مرة هكذا ومرة هكذا.

وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان»: إن عبد الوهاب بن موسى ذكره الخطيب في الرواة عن مالك وكناه أبا العباس ونسبه زهرياً، وأورد له أثراً موقوفاً وقال: إنه تفرد به، ولم يذكر فيه جرحاً، وأورده الدارقطني في «الغرائب» من هذا الوجه وقال: هذا صحيح عن مالك، وعبد الوهاب بن موسى ثقة ـ انتهى.

وقد أعل الذهبي الحديث أعني حديث الإحياء بأمرين: جهالة عبد الوهاب، ومخالفته لما صح من أنه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم استأذن ربه في الاستغفار لها فلم يأذن له، فأما جهالة عبد الوهاب فقد زالت بما استدرك عليه الحافظ ابن حجر، ففي «اللسان» من أنه معروف وثقة، لم يذكر بجرح، وأما مخالفته للحديث الصحيح فقد أجاب عنه الأئمة كما سنذكره.

قال الحافظ ابن حجر في «اللسان»: قد سبق ابن الجوزي إلى الحكم بوضعه ومعارضته لحديث بريدة الجوزقاني في كتاب «الأباطيل» وقال في نكته على ابن الصلاح: قد أخطأ من حكم بالوضع لمجرد مخالفة السنة وأكثر عن ذلك الجوزقاني في كتاب «الأباطيل»، وهذا إنما يتأتى حيث لا يمكن الجمع بوجه من الوجوه، أما مع إمكان الجمع فلا، كما زعم بعضهم أن الحديث الذي رواه الترمذي، وحسنه من حديث أبي هريرة: لا يؤمن عبد قوماً فيخص نفسه بدعوة دونهم، فإن فعل فقد خانهم. موضوع لأنه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم قد صح عنه أنه كان يقول: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي»، وغير ذلك لأنا نقول: يمكن حمله على ما لا يشرع للمصلي من الأدعية، لأن الإمام والمأموم يشتركان فيه بخلاف ما لم يؤثر.

وكما زعم ابن حبان في «صحيحه» أن قوله صلى اللّٰه عليه وآله وسلم: «إني لست كأحدكم، إني أطعم وأسقى» دال على أن الأخبار التي فيها أنه كان يضع

الحجر على بطنه من الجوع باطلة، وقد رد ذلك عليه الحافظ ضياء الدين فشفى وكفى ـ هذا كله كلام الحافظ ابن حجر في النكت.

قال الشيخ بدر الدين الزركشي في تعليقه على ابن الصلاح: جعل بعضهم من دلائل الوضع أن يخالف صحيح السنة، وهذه هي طريقة ابن خزيمة وابن حبان، وهي طريقة ضعيفة لا سيما حيث أمكن الجمع، قال ابن خزيمة في «صحيحه»: حديث: لا يؤمن عبد قوماً فيخص نفسه بدعوة، فإن فعل فقد خانهم. هذا حديث موضوع، فقد ثبت قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي»، والحديث لا ينتهي إلى ذلك، فقد حسنه الترمذي وغيره وليس بمعارض لحديث الاستفتاح لإمكان حمله على ما لم يشرع للإمام والمأموم.

وقال ابن حبان في «صحيحه» في قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إني لست كأحدهم إني أطعم وأسقى»: هذا الخبر يدل على أن الأحاديث التي جاء فيها أنه كان يضع الحجر على بطنه كلها أباطيل، وإنما الحُجزة هو طرف الإزار لا الحجر، إن اللّه جل وعلا كان يطعم رسوله ويسقيه إذا واصل، فكيف يتركه جائعاً مع عدم الوصال حتى يشد الحجر على بطنه وما يغني الحجر عن الجوع.

وقال في كتابه «الضعفاء» في ترجمة أبي سفيان أنه روى حديث عبد اللّه بن أبي أصيبت ثنيته يوم أحد فأمره رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أن يتخذ ثنية من ذهب. وروى النهي أن يصلي إلى نائم أو محدث.

قال ابن حيان: هذان موضوعان، وكيف يأمر المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم باتخاذ الثنية من ذهب، وقد قال: إن الذهب والحرير محرمان على ذكور أمتي، وكيف ينهى عن الصلاة إلى النائم وقد كان صلى اللّه عليه وآله وسلم يصلي وعائشة رضي اللّه عنها معترضة بينه وبين القبلة ـ انتهى.

ولا يخفى ما في ذلك، وقد قال الحافظ الذهبي بعد كلام ابن حيان: هذان حكمك عليهما بالوضع بمجرد ما أبديت حكم فيه نظر لا سيما خبر الثنية ـ انتهى كلام الزركشي. وقال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس في «السيرة»: قد روي أن عبد اللّه بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب والدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أسلما، وأن اللّه أحياهما له فآمنا به، وروي ذلك أيضاً في حق جده عبد المطلب؛ قال: وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قلت: يا رسول اللّه أين أمي؟ قال: أمك في النار، قلت: فأين من مضى من أهلك؟ قال: أما ترضى أن تكون أمك مع أمي؟ قال: وذكر بعض أهل العلم في

الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض اللَّه روحه الطاهرة إليه وأزلفه لما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه. فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى اللَّه عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخرين عن تلك الأحاديث فلا تعارض - انتهى.

وقال الإمام أبو القاسم السهيلي في «الروض الأنف»: روي حديث غريب لعله يصح، وجدته بخط جدي أبي عمر أحمد بن الحسن القاضي بسند فيه مجهولون، ذكر أنه نقل من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى أبي الزناد، عن عروة، عن عائشة رضي اللَّه عنها أخبرت أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم دعا ربه أن يحيي أبويه، فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما. ثم قال السهيلي: واللَّه قادر على كل شيء، وليس يعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه صلى اللَّه عليه وآله وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله، وينعم عليه بما شاء من كرامته.

وقال السهيلي أيضاً في أثناء «الروض» في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال لفاطمة رضي اللَّه عنها: «لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك»، ما نصه: قوله: جد أبيك، ولم يقل: جدك - يعني أباه - تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره: أن اللَّه أحيا أمه وأباه فآمنا به - انتهى. وهذا الحديث الذي ذكره السهيلي في إحياء أبويه لم يذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ولا تعرض له.

وقال العلامة ناصر الدين بن المنذر في «شرف المصطفى»: وقد وقع لنبينا صلى اللَّه عليه وآله وسلم إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام، وجاء في حديث: أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لما منع من الاستغفار للكفار دعا اللَّه أن يحيي أبويه، فأحياهما له فآمنا به وصدقا وماتا مؤمنين.

وقال القرطبي في «التذكرة» بعدما أورد الحديث الذي أخرجه الخطيب وابن شاهين في إحياء أمه والحديث الذي أورده السهيلي في إحياء أبويه: ولا تعارض بين هذين الحديثين وأحاديث عدم الإذن في الاستغفار، لأن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة رضي اللَّه عنها في حجة الوداع، ولذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار.

قال: وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية أن الحديث في إيمان أمه وأبيه

موضوع يرده القرآن العظيم قال اللّه تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]، وقال: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة، بل لو آمن عند المعاينة لم ينفع فكيف بعد الإعادة؟!

وفي التفسير أنه عليه الصلاة والسلام قال: ليت شعري ما فعل أبواي؟! فنزلت ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال القرطبي: وفيما ذكره ابن دحية نظر، وذلك أن فضائل النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله اللّه وأكرمه؛ وليس إحياؤهما وإيمانهما بممتنع عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا صلى اللّه عليه وآله وسلم، فإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون ذلك خصوصاً.

وقوله: فمن مات كافراً ـ إلى آخر كلامه، مردود بما في الخبر أن اللّه تعالى رد الشمس على نبيه بعد مغيبها حتى صلى علي ـ رضي اللّه عنه ـ ذكره الطحاوي وقال: إنه حديث ثابت، فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه؛ وكذلك يكون إحياء أبوي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، وقد قبل اللّه إيمان قوم يونس عليه السلام وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب كما هو أحب الأقوال وهو ظاهر القرآن.

وأما الجواب عن الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾، فيكون ذلك قبل إيمانهما ـ انتهى كلام القرطبي، قلت: وهو في غاية التحقيق، واستدلاله على تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية الحسن، ولهذا حكم بكون الصلاة أداء، وإلا لم يكن لرجوعها فائدة، إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب.

وقد ظفرت باستدلال أظهر وأوضح منه، وهو ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون في آخر الزمان، ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشريفاً لهم بذلك، أخرجه ابن عساكر في «تاريخه»؛ وأخرج ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ مرفوعاً: أصحاب الكهف أعوان المهدي. فقد اعتد بفعل أصحاب الكهف بعد إحيائهم بعد الموت ولا بدع أن يكون اللّه تعالى كتب لأبوي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم عمراً، ثم قبضهما قبل استيفائه، ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها، فيعتد به؛ ويكون تأخير تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم اللّه به نبيه صلى

اللَّه عليه وآله وسلم، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة.

فإن أورد على هذا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، فالجواب أن ذلك فيمن أراد اللَّه قبضه قبضاً مستمراً ويخص منه من أراد إحياءه بعد ذلك، كالذي نحن فيه، وكأصحاب الكهف وكالجماعة الذين أحياهم اللَّه على يدي عيسى عليه الصلاة والسلام.

ثم إن هذا بناء على قول الجمهور أن العمر لا يزيد ولا ينقص، وبه أفتى والدي رحمه اللَّه تعالى؛ وأما على القول بزيادته ونقصه وهو الذي أختاره ولي فيه تأليف مستقل فالإيراد مرتفع عن أصله. وقال الصفدي أو غيره بعد ذكر حليمة وما أكرمها صلى اللَّه عليه وآله وسلم به حين قدومها عليه:

**شعر**

هذا جزاء الأم عن إرضاعه ... لكن جزاء اللَّه عنه عظيم
وكذاك أرجو أن يكون لأمه ... عن ذاك آمنة بدار نعيم
ويكون أحياها الإله وآمنت ... بمحمد فحديثها معلوم
فلربما سعدت به أيضاً كما ... سعدت به بعد الشقاء حليم

قال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه «مورد الصادي في مولد الهادي» بعد إيراده الحديث منشداً لنفسه:

**شعر**

حبا اللَّه النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

فمشى على أن الحديث ضعيف لا موضوع، وهو معدود في رتبة الحفاظ.

وأخبرني بعض الفضلاء أنه وقف على هذه الفتيا بخط الحافظ ابن حجر أجاب فيها بهذا وقال: إن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لم يزل على التوالي يزداد شرفاً، إلا أني لم أقف على هذه الفتيا إلى الآن.

## خاتمة

تسامُح ابن الجوزي في كتابه الموضوعات معروف نص عليه أئمة الحديث:

قال ابن الصلاح في «علومه» مشيراً إليه: ولقد أكثر الذي جمع في هذا العصر

الموضوعات في نحو مجلدين فأودع فيها كثيراً مما لا دليل على وضعه وإنما حقه أن يذكر في مطلق الأحاديث الضعيفة.

وقال الإمام النووي في «التقريب»: وقد أكثر جامع الموضوعات في نحو مجلدين ـ أعني أبا الفرج بن الجوزي فذكر كثيراً مما لا دليل على وضعه، بل هو ضعيف. وقال الحافظ زين الدين العراقي في «الألفية»:

وأكثر الجامع فيه إذا خرج لمطلق الضعيف أعني أبا الفرج

وقال قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة في «المنهل الروي» وصنف الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه «الموضوعات» فذكر كثيراً من الضعيف الذي لا دليل على ضعفه، وذكر نحو ذلك شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني في كتابه «محاسن الاصطلاح».

وقال الحافظ صلاح الدين العلائي: الحكم على الحديث بكونه موضوعاً من المتأخرين عسير جداً، لأن ذلك لا يتأتى إلا بعد جمع الطرق وكثرة التفتيش، وأنه ليس لهذا المتن سوى هذا الطريق الواحد، ثم يكون في رواته من هو متهم بالكذب ـ إلى ما ينضم إلى ذلك من قرائن كثيرة يقتضي للحافظ المتبحر الحكم بذلك؛ ولهذا انتقد العلماء على أبي الفرج بن الجوزي في كتابه «الموضوعات» وتوسعه في الحكم بذلك على كثير من الأحاديث ليست بهذه المثابة، ويجيء بعده من لا بد له في علم الحديث فيقلده فيما حكم به من الوضع؛ وفي هذا من الضرر العظيم ما لا يخفى.

وهذا بخلاف الأئمة المتقدمين الذين منحهم اللّه التبحر في علم الحديث والتوسع في حفظه كشعبة والقطان وابن مهدي ونحوهم وأصحابهم مثل أحمد وابن المديني وابن معين، وابن راهويه وطائفة ثم أصحابهم مثل البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وهكذا إلى زمن الدارقطني والبيهقي، ولم يجيء بعدهم مساوٍ لهم ولا مقارب، فمتى وجد في كلام أحد من المتقدمين الحكم بوضع شيء كان متعمداً لما أعطاهم اللّه من الفضل الغزير، وإن اختلف النقل عنهم عدل إلى الترجيح ـ انتهى.

قال الزركشي بعد إيراده: وقد حكم جمع من المتقدمين على الأحاديث بأنه لا أصل لها ثم وجد الأمر بخلاف ذلك ـ وفوق كل ذي علم عليم. وقال الزركشي عند قول ابن الصلاح: ولقد أكثر الذي جمع في هذا العصر الموضوعات ـ يريد به أبا الفرج بن الجوزي، واعتراضه عليه صحيح، فإن فيها ما ضعفه محتمل، ويمكن

التمسك به في الترغيب والترهيب، ومنها ما هو حديث صحيح أو صححه بعض الأئمة كحديث صلاة التسبيح.

قال المحب الطبري: أخطأ بذكره في الموضوعات ولم يكن له ذلك وقد أخرجه الحافظ في كتبهم. وكحديث قراءة آية الكرسي عقب الصلاة حكم عليه بالوضع وقد رواه النسائي بإسناده على شرط الصحيح.

قال الحافظ المزي: أساء ابن الجوزي بذكره في الموضوعات، وله مثل هذا كثير، وبين قولنا: لم يصح، وقولنا: موضوع، بون كثير؛ فإن الوضع إثبات الكذب والاختلاق وقولنا: لا يصح، لا يلزم منه إثبات العدم، وإنما هو إخبار عن عدم الثبوت، وفرق بين الأمرين فقد يثبت من طريق آخر - انتهى كلام الزركشي.

وقال في موضع آخر: قد أكثر منهم الحكم على الحديث بالوضع إسناداً إلى رواية من عرف بالوضع، وهذه الطريقة استعملها ابن الجوزي في كتابه الموضوعات وهي غير صحيحة، لأنه لا يلزم من كونه معروفاً بالوضع أن يكون جميع ما يرويه موضوعاً؛ فالصواب في هذا أنه يحكم بضعفه لا أنه موضوع لا محالة، قال: وقد قال القاضي أبو الفرج النهرواني في كتاب «الجليس الصالح»: زعم جماعة من أهل صناعة الحديث وكثير ممن لا نظر له في العلم فظن أن ما في رواته ضعف فهو باطل في نفسه ومقطوع على إنكاره من أصله.

وهذا جهل ممن ذهب إليه، بل إن كان الراوي معروفاً بالكذب في رواياته، وروى خبراً انفرد به مما يمكن أن يكون حقاً وأن يكون باطلاً وجب التوقف في الحكم بصحته ولم يجز القطع بتكذيب رواته والحكم بتكذيب ما رواه. قال الزركشي عقبه: وفي كتاب «أدب الحديث» لعبد الغني بن سعيد: من سمع حديثاً عني فكذبه فقد كذب ثلاثة: اللّه، ورسوله، والناقل له - انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح: قال العلائي: دخلت على ابن الجوزي الآفة من التوسع في الحكم بالوضع، لأن مستنده في غالب ذلك ضعف رواته.

قال الحافظ ابن حجر: وقد يعتمد على غيره من الأئمة في الحكم على بعض الأحاديث بتفرد بعض الرواة الساقطين بها، ويكون كلامهم محمولاً على قيد أن تفردهم إنما هو من ذلك الوجه، ويكون المتن قد روي من وجه آخر لم يطلع عليه هو أو لم يستحضره حالة التصنيف، فدخل عليه الدخيل من هذه الجملة وغيرها فدخل في كتابه الحديث المنكر والضعيف الذي يحتمل في الترغيب والترهيب،

وقليل من الأحاديث الحسان كحديث صلاة التسبيح وكحديث قراءة آية الكرسي دبر الصلاة فإنه صحيح رواه النسائي، وصححه ابن حبان.

وليس في كتاب ابن الجوزي من هذا الضرب سوى أحاديث قليلة جداً، وأما من مطلق الضعيف ففيه كثير من الأحاديث. قال: وقد أفردت لذلك تصنيفاً ـ انتهى كلام الحافظ ابن حجر، وقلّ أن جاء بعد ابن الجوزي حافظ إلا وتعقب عليه في بعض أحاديثه.

وللحافظ ابن حجر عدة مؤلفات في التعقب على عدة أحاديث من كتاب ابن الجوزي ككتابه «القول المسدد في الذب عن مسند أحمد» تعقب فيه أربعة وعشرين حديثاً أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وهي في المسند، ودرأ عنها أحسن الدرء أنها ليست بموضوعة.

وقال في صدر كلامه: نجيب عنها أولاً بطريق الإجمال فإن هذه الأحاديث ليس فيها شيء من أحاديث الأحكام في الحلال والحرام، فالتساهل في إيرادها شائع؛ قال: وقد ثبت عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة أنهم قالوا: إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا ـ انتهى. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

وفي الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. وصلى الله على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

# التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة

الحمد للّه وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أفتيت بأن المختار أن أم النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم مُوَحِّدَة، وحكمها حكم من تحنف في الجاهلية، وكان على دين إبراهيم الخليل عليه السلام، وترك عبادة الأصنام كزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه؛ وبأن الحديث الوارد في أن اللّه أحياها له ليس بموضوع كما ادعاه جماعة من الحفاظ، بل هو من قسم الضعيف الذي يتسامح بروايته في الفضائل خصوصاً في مثل هذا الموطن؛ فتضمن هذا الإفتاء أمرين محتاجين إلى بيان المستند لكل منهما.

فأقول: قال ابن شاهين في كتابه «الناسخ والمنسوخ»: حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الأنصار، ثنا أحمد بن يحيى الحضرمي بمكة، ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي اللّه عنها: أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم نزل إلى الحجون(١) كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء ربه عزّ وجلّ، ثم رجع مسروراً، فقلت: يا رسول اللّه نزلت إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقمت به ما شاء اللّه، ثم رجعت مسروراً، قال: «سألت ربي عزّ وجلّ فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها».

أورده ابن الجوزي في «الموضوعات». وقال الحافظ أبو الفضل بن ناصر: هذا الحديث موضوع، ومحمد بن زياد هو النقاش ليس بثقة، وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان.

قلت: أما محمد بن يحيى فليس بمجهول، فقد ذكره الذهبي في «الميزان» «والمغني» معاً فقال: محمد بن يحيى أبو غزية المدني الزهري قال الدارقطني:

(١) الحجون: جبل بمكة.

متروك، وقال الأزدي: ضعيف. هذه عبارته، فقد عرف بالضعف لا بالوضع؛ ومن يترجم بهذا لا يكون حديثه في درجة الموضوع، بل في درجة الضعيف.

وأما أحمد بن يحيى الحضرمي فليس بمجهول أيضاً، فقد ذكره الذهبي في «الميزان» وقال: روى عن حرملة التجيبي؛ لينه أبو سعيد بن يونس ومن يترجم بهذا يعتبر حديثه.

وأما محمد بن زياد فإن كان هو النقاش كما ذكر فهو أحد العلماء بالقراءات، وأحد الأئمة بالتفسير؛ قال الذهبي في «الميزان»: صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه، أثنى عليه عمرو الداني، وحدث بمناكير. ومع ذلك فلم يفردوا به فإن للحديث طريقين آخرين عن أبي غزية:

قال الحافظ محب الدين أحمد بن عبد اللّه المكي الطبري في كتابه «سيرة النبي»: أنا أبو الحسن أنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي إجازة أنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد أنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن الأخضر، ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي اللّه عنها: أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم نزل الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء اللّه، ثم رجع مسروراً، قال: «سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي، ثم ردها».

وأما الذهبي فلم يعلل الحديث بواحد من الثلاثة المذكورين، بل قال في «الميزان»: عبد الوهاب بن موسى، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد بحديث: إن اللّه أحيا لي أمي فآمنت بي ـ الحديث، لا يدري من ذا الحيوان الكذاب؛ فإن هذا الحديث كذب يخالف لما صح من أنه عليه السلام استأذن ربه في الزيارة والاستغفار لها فلم يأذن له ـ انتهى.

حاصله أنه أعلّ الحديث بأمرين: أحدهما جهالة عبد الوهاب بن موسى، والثاني مخالفته للحديث الصحيح المذكور.

والجواب عن الأمر الأول أن عبد الوهاب معروف من رواة مالك وقد روي هذا الحديث أيضاً عنه.

قال الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب «السابق واللاحق»: أخبرنا أبو العلاء الواسطي، ثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي، ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد، حدثنا علي بن أيوب الكعبي، ثنا محمد بن يحيى الزهري أبو غزية، ثنا عبد

الوهاب بن موسى، ثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: «حج بنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم حجة الوداع فمرّ بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، ثم إنه طفر فنزل فقال: يا حميراء استمسكي، فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلاً، ثم إنه عاد إليّ وهو فرح متبسم، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه، نزلت وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك، ثم إنك عدت إليّ، وأنت فرح متبسم فبم ذا يا رسول اللّه؟ قال: ذهبت بقبر أمي فسألت اللّه أن يحييها، فأحياها فآمنت بي وردها اللّه تعالى». أخرجه من هذا الطريق الدارقطني في «غرائب مالك»، وقال: باطل، وأخرجه ابن عساكر في «غرائب مالك» أيضاً وقال: منكر، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» أيضاً ولم يتكلم على رجاله.

وقد قال الذهبي في «الميزان»: علي بن أيوب أبو القاسم الكعبي روى عن ابن يحيى الزهري لا يكاد يعرف. قلت: قد بان بهذا الطريق أن عبد الوهاب بن موسى هذا يقال له: أبو العباس الزهري، ذكره الخطيب في الرواة عن مالك فأورد له أثراً عن مالك فأخرج من طريق سعيد بن الحكم بن أبي مريم المصري، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، ثنا مالك، ثني عبد اللّه بن دينار، عن سعد مولى عمر بن الخطاب: أن كعب الأحبار ـ رضي اللّه عنه ـ قال لعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: إنا لنجدك في كتاب اللّه تعالى على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة. هذا الأثر معروف عن مالك، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» عن معن بن عيسى، عن مالك بسنده ومتنه سواء، فزالت جهالة عين عبد الوهاب برواية ثان عنه بروايته المعروفة؛ وكان الحديث عنه من طريقين عن مالك عن أبي الزناد عن هشام، وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام، فرواه مرة هكذا ومرة هكذا.

وفي هذا الطريق زيادة فائدة هي أن ذلك وقع في حجة الوداع، وبه يحصل الجواب عن الأمر الثاني، وهو المخالفة لحديث الاستئذان في الاستغفار عند الزيارة فإن قصة الزيارة كانت عام الفتح كما في حديث بريدة ـ رضي اللّه عنه ـ وذلك قبل هذه القصة بعامين، ولهذا أورده ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ» فأورد حديث الزيارة والنهي عن الاستغفار وجعله منسوخاً وأورد بعده حديث عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ في الإحياء وجعله ناسخاً؛ وذلك حسن جلي.

وتابعه القرطبي على ذلك فقال في «التذكرة» بعد أن أورد حديث عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ في إحياء أمه وحديث إحياء أبويه: ولا تعارض لأن إحياءهما متأخر عن

الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة في حجة الوداع. وكذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار.

وقال ابن شاهين أيضاً: حدثنا يحيى بن صاعد، ثنا إبراهيم بن سعد وزهير بن محمد ـ وله اللفظ ـ قالا: ثنا عبد الرحمن بن المبارك، ثنا مصعب بن حرب عن علي بن الحكم، عن عثمان بن عمير، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: جاء ابنا مليكة فقالا: يا رسول اللّه، إن أمنا كانت تكرم الضعيف وقد وأدت في الجاهلية فأين أمنا؟ فقال: أمكما في النار، فقاما وقد شق ذلك عليهما فدعاهما رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم فقال: «إن أمي مع أمكما»! فقال منافق من الناس: أو ما يغني هذا عن أمه إلا ما يغني ابنا مليكة عن أمهما! فقال شاب من الأنصار: لو أن أبويك! فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم المقام المحمود».

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح، وفي هذا الحديث فوائد: منها أن قوله: إن أمي مع أمكما، كان قبل أن يسأل ربه فيها فلا ينافيه حديث إحيائهما وإيمانهما حين سأل ربه في ذلك. ومنها أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم جوز أنه إذا سأل ربه فيها يعطيه، فدل ذلك على إمكانه. ومنها أن أصحابه جوزوا ذلك عليه واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضي ذلك.

وقال ابن سعد في «الطبقات»: أخبرنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن إسحاق بن عبد اللّه بن الحارث قال: قال العباس رضي اللّه عنه: يا رسول اللّه ما ترجو لأبي طالب؟ قال: كل الخير أرجو من ربي. فإذا كان هذا رجاؤه لأبي طالب مع أنه أدرك البعثة وعرض عليه الإسلام فأبى فلأبويه أولى.

وقال السهيلي في كتابه «الروض الأنف»: روي حديث غريب لعله يصح وجدته بخط جدي أبي عمر أحمد بن أبي الحسن القاضي بسند فيه مجهولون؛ ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى أبي الزناد عن هشام عن عروة عن عائشة رضي اللّه عنها أخبرت أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما. واللّه قادر على كل شيء، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته ـ انتهى.

وقال القرطبي: ذكر الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية أن الحديث في إيمان أمه وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم والإجماع: قال اللّه تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ

وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]، وقال: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]. فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة، بل لو آمن عند المعاينة لم ينفع: فكيف بعد الإعادة؟

وفي التفسير أنه عليه الصلاة والسلام قال: ليت شعري ما فعل أبواي، فنزل ﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

وقال القرطبي: وفي ما ذكره ابن دحية نظر، وذلك أن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى مماته صلى الله عليه وآله وسلم. فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه؛ وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى.

وإذا ثبت هذا فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضله مع ما ورد من الخبر في ذلك، ويكون ذلك مخصوصاً بمن مات كافراً، وقوله: فمن مات كافراً ـ إلى آخر كلامه. مردود بما روي في الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه بعد مغيبها حتى صلى عليٌّ رضي الله عنه. ذكره الطحاوي وقال: إنه حديث ثابت، فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون لأبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قبل الله تعالى إيمان قوم يونس عليه السلام وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب، كما هو أحد الأقوال وهو ظاهر القرآن.

وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانهما في العذاب ـ انتهى كلام القرطبي.

قلت: استدلاله على تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية الحسن، ولهذا حكم بكون الصلاة أداء، وإلا لم يكن برجوعها فائدة إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب. وقد ظفرت باستدلال أوضح منه، وهو ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون في آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشريفاً لهم بذلك، وورد عن ابن عباس مرفوعاً: أصحاب الكهف أعوان المهدي، أخرجه ابن مردويه في تفسيره، فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم عن الموت، ولا بدع في أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمراً، ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به، ويكون تأخير تلك البعثة بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله

تعالى به نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة.

ثم إن تعليل ابن دحية للحديث بمخالفة ظاهر القرآن ليس على طريقة أهل الحديث، فقد ذكر الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدسي في كتابه «الإيضاح» تعليل ابن حزم لحديث الإسراء الذي أخرجه البخاري وحكمه عليه بأنه موضوع لمخالفة ما ثبت في أحاديث الإسراء الصحيحة، ثم تعقبه بأن قال: إن ابن حزم وإن كان إماماً في علوم شتى إلا أنه لم يسلك طريق الحفاظ في تعليل الحديث؛ وذلك أن الحفاظ إنما يعللون الحديث من طريق الإسناد الذي هو المرقاة إليه، وهذا الرجل علله من حيث اللفظ ـ انتهى.

وأما حديث: «ليت شعري ما فعل أبواي» فمعضل ضعيف، لا تقوم به حجة.

وقال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس في «سيرته» بعد أن ذكر رواية ابن إسحاق في أن أبا طالب أسلم عند الموت ما نصه: وقد روي أن عبد اللّه بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب أبوي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أسلما أيضاً، وأن اللّه أحياهما له فآمنا به، وروي ذلك أيضاً في حق جده عبد المطلب؛ قال: وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي قال: «قلت: يا رسول اللّه أين أمي؟ قال: أمك في النار قلت: فأين من مضى من أهلك؟ قال: أما ترضى أن تكون أمك مع أمي».

قال: وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض اللّه روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى اللّه عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخرين عن تلك الأحاديث فلا تعارض ـ انتهى.

قلت: هذا كله كلامي على الحديث من غير أن أقف على كلام أحد تكلم عليه، ثم راجعت «لسان الميزان» تأليف إمام الحفاظ أبي الفضل بن حجر فوجدته ساق كلام الميزان في ترجمة عبد الوهاب بلفظه، ثم قال ما نصه: قلت: تكلم الذهبي في هذا الموضع بالظن فسكت عن المتهم بهذا الحديث، وقد قال الدارقطني في «غرائب مالك» ما نصه: ويروى عن مالك عن أبي الزناد عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي اللّه عنها حديثان منكران باطلان، فذكر هذا الحديث من

طريق علي بن أحمد الكعبي، عن أبي غزية، ثم قال: وهذا كذب على مالك والحمل فيه على أبي غزية والمتهم به هو، أو من حدث عنه؛ وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس.

ثم قال الحافظ ابن حجر: وأخرج ابن الجوزي في «الموضوعات» عن عمر بن الربيع الزاهد، ثنا علي بن أيوب الكعبي، حدثني محمد بن يحيى أبو غزية الزهري، عن عبد الوهاب بن موسى ـ فذكر الحديث مطولاً.

ثم ساق من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش المفسر قال: ثنا أحمد بن يحيى ثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب. ثم قال ابن الجوزي: النقاش ليس بثقة، وأحمد بن يحيى، ومحمد بن يحيى مجهولان.

قال الحافظ ابن حجر: فأما قوله: علي بن أيوب الكعبي، فوافقه ابن عساكر عليه لما أخرج هذا الحديث بطوله، كما سيأتي في ترجمة عمر بن الربيع: وسمى الدارقطني أباه أحمد. وأما محمد بن يحيى فليس بمجهول، بل هو معروف، له ترجمة جيدة في تاريخ مصر لأبي سعيد بن يونس، ورماه الدارقطني بالوضع، وهو أبو غزية محمد بن يحيى الزهري؛ وسيأتي ذكره في موضعه. وأما أحمد بن يحيى فلم يظهر من مسند النقاش ما يتميز به، وفي طبقته جماعة كل منهم أحمد بن يحيى، أقربهم إلى هذا السند أحمد بن يحيى بن زكريا فإنه مصري وعلي الكعبي مصري كما قاله الدارقطني.

وقد ذكر الخطيب عبد الوهاب بن موسى صاحب الترجمة في الرواة عن مالك، وكناه أبا العباس، وأورد له من طريق سعيد بن أبي مريم عنه عن مالك عن عبد اللّه بن دينار أثراً موقوفاً على عمر رضي اللّه عنه في قصة له مع كعب الأحبار وقال: إنه تفرد به، ولم يذكر فيه جرحاً، وأورده الدارقطني في «الغرائب» من هذه الترجمة وقال: هذا صحيح عن مالك.

ونقل ابن الجوزي عن شيخه محمد بن ناصر أن هذا الحديث موضوع، لأن قبر أمه بالأبواء[1] كما ثبت في الصحيح، وأبو غزية هذا زعم أنه بالحجون. وسبق ابن الجوزي إلى الحكم بوضعه ومعارضته لحديث بريدة الجوزقاني في كتاب «الأباطيل» وسيأتي ترجمة عمر بن الربيع مع زيادة في الكلام على حديث أبي غزية عن عبد الوهاب بن موسى. هذا كله كلام «لسان الميزان» في ترجمة عبد الوهاب.

وقوله في أحمد بن يحيى: أنه لم يظهر من مسند النقاش ما يتميز به، يقال

(١) الأبواء: جبل بين الحرمين.

عليه: قد ظهر من السند الذي ساقه ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ» عنه ما يتميز به من حيث نسبه الحضرمي.

وقال في «لسان الميزان» في ترجمة أبي غزية: هو أبو غزية الصغير الزهري كان بمصر، روى عنه جماعة منهم، وقد ذكره أبو سعيد بن يونس في الغرباء ونسبه فقال: محمد بن يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، أبو عبد الله، ولقبه أبو غزية، مدني قدم مصر، له كنيتان. وذكر فيمن روى عنه إسحاق بن إبراهيم الكناسي وزكريا بن يحيى الثغري وسهل بن سوادة الغافقي ومحمد بن فيروز ومحمد بن عبد الله بن حكيم. قال: ومات في يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين.

وقال الدارقطني في «غرائب مالك»: ثنا أبو بكر النقاش المصري ثنا محمد بن عبد الله بن حكيم بمصر، ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري، ثنا عبد الوهاب بن موسى، ثني مالك عن ابن شهاب، ثني سعيد بن المسيب، ثني عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - لما ولي علي - رضي الله عنه فذكر قصة فيها: فقال علي: إن أبا بكر - رضي الله عنه - سبقني إلى أربع - الحديث. قال الدارقطني: لا يثبت عن الزهري ولا عن مالك، وأبو غزية هذا هو الصغير منكر الحديث.

ثم أورد من طريق علي بن أحمد فقال - وكان ثقة: ثنا أبو غزية محمد بن يحيى ثني أبو العباس عبد الوهاب بن موسى بهذا السند إلى ابن عمر - رضي الله عنهما - رفعه: اليمين مندمة أو مأثمة. وقال: لا يصح هذا عن مالك ولا عن الزهري. والحمل فيه على أبي غزية - انتهى.

وأما أبو غزية الكبير محمد بن موسى الأنصاري المدني القاضي، يروي عن مالك وفليح بن سليمان، وعنه إبراهيم بن المنذر والزبير بن بكار وعمر بن محمد بن فليح وطائفة؛ ضعفه البخاري وابن حبان وأبو حاتم والعقيلي وابن عدي، ووثقه الحاكم، مات سنة سبع ومائتين.

وقال في ترجمة علي بن أحمد الكعبي: مصري متهم، روى عن أبي غزية عن عبد الوهاب بن موسى، عن مالك، عن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها حديثين:

**أحدهما**: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما حجّ مرّ بقبر أمه آمنة فسأل الله عزّ وجلّ فأحياها فآمنت به فردها إلى حفرتها.

**والثاني**: بهذا الإسناد - أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينقل الحجارة

للبيت عرياناً فجاءه جبريل وميكائيل ـ عليهما السلام ـ فوارياه وطفقا يحملان الحجارة عنه شفقة من اللّٰه عليه.

قال الدارقطني: والإسناد والمتنان باطلان، ولا يصح لأبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شيء وهذا كذب على مالك، والحمل فيه على أبي غزية والمتهم بوضعه هو أو من حدث به عنه؛ وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس.

وقال في ترجمة علي بن أيوب الكعبي بعد أن ساق قول «الميزان»: لا يكاد يعرف، قلت: قد عرفه الدارقطني وسماه علي بن أحمد وقال في ترجمة عمر بن الربيع بن سليمان أبي طالب الخشاب بعد أن ساق قول الذهبي: ذكره الفرات في «تاريخه» وأنه كذاب، ما نصه: وضعفه الدارقطني في «غرائب مالك».

وقال مسلمة بن قاسم: تكلم فيه قوم ووثقه آخرون، وكان كثير الحديث، توفي سنة أربعين وثلاث مائة بمصر.

وأورد له ابن عساكر في «غرائب مالك» من طريق الحسين بن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي، ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب، ثنا علي بن أيوب الكعبي من ولد كعب بن مالك ـ رضي اللّٰه عنه ـ ثني محمد بن يحيى الزهري أبو غزية ثني عبد الوهاب بن موسى، ثني مالك، عن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن عائشة ـ رضي اللّٰه عنها ـ قالت: حج بنا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم في حجة الوداع ـ فذكر الحديث كما تقدم من طريق الخطيب سواء.

قال ابن عساكر: هذا حديث منكر من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهري المدني عن مالك، والكعبي مجهول، والحلبي صاحب غرائب ولا يعرب لأبي الزناد رواية عن هشام، وهشام لم يدرك عائشة فلعله سقط من الكتابة: عن أبيه ـ انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: ولم ينبه على عمر بن الربيع، ولا علي بن محمد بن يحيى وهما أولى أن يلصق بهما هذا الحديث من الكعبي وغيره، وقد تقدم ذلك في عبد الوهاب بن موسى، وفيه إثبات قوله: عن أبيه الذي ظن أنه سقط فهو كما ظن ـ انتهى. هذا مجموع كلام الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» فيما يتعلق بهذا الحديث ورجاله.

وقد تلخص لي منه ومما قدمته أن الحديث غير موضوع قطعاً.

وبيان ذلك أنه ليس في رواته من أجمع على جرحه فإن مدار الحديث على أبي غزية عن عبد الوهاب وثقه الدارقطني في موضعين فقال في موضع: ثقة، وفي موضع: ليس به بأس، وأقره الحافظ ابن حجر، ولم ينقل عن أحد فيه جرح؛ ومن

فوقهم من مالك فصاعداً لا يسأل عنهم لجلالتهم، والساقط بين هشام وعائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ عروة وقد ثبت في طريق آخر. وأبو غزية قال فيه الدارقطني: منكر الحديث، وقال ابن الجوزي: مجهول، وترجمة ابن يونس ترجمة جيدة أخرجه عن حد الجهالة. والكعبي أكثر ما قيل فيه: مجهول وقد عرف. وعمر بن الربيع نقل مسلمة توثيقه عن آخرين وأنه كان كثير الحديث.

فهذا الطريق بهذا الاعتبار ضعيف لا موضوع على الصنعة، فكيف وله متابع أجود منه؟ وهو طريق أحمد بن يحيى الحضرمي عن أبي غزية، فإن هذا الطريق أجود من حيث أن طريق الكعبي فيها رجال على الولاء تكلم فيهم الحلبي وعمر بن الربيع والكعبي، والحضرمي لم يتكلم فيه إلا بالجهالة حيث اقتصر فيه على أحمد بن يحيى، وقد عرف لما نسب باللين وهي من ألفاظ التعديل الذي يحكم لحديث صاحبه بالحسن إذا توبع، ولولا تفرد به لحكمت له بالحسن. فالحديث إذاً من أفراد أبي غزية ومداره عليه، وحكم ابن عساكر على هذا الحديث بأنه منكر حجة لما قلته من أنه ضعيف لا موضوع لأن المنكر من الضعيف، وبينه وبين الموضوع فرق كما هو معروف في فن الحديث.

وأقوى ما اعتمد عليه في هذا الحديث قول ابن عساكر فإن أكثر ما قيل في رواية أبي غزية: أنه منكر الحديث، فيكون الحديث الذي تفرد به منكراً، وضابط المنكر أنه الذي ينفرد به الراوي الضعيف مخالفاً لرواية الثقات، وهذا الحديث كذلك إن سلم مخالفته لحديث الزيارة ونحوه، فإن اتفقت المخالفة كان ضعيفاً فقط وهي مرتبة فوق المنكر أصلح حالاً منه، ودون المنكر مرتبة أدون حالاً منه وهي مرتبة المتروك، والمتروك أيضاً من قسم الضعيف الذي ليس بموضوع.

## فصل

حديث الزيارة الذي حكم الذهبي بصحته لم يخرجه أحد من الأئمة الستة، بل أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه، وأحمد من حديث بريدة ـ رضي اللَّه عنه، والطبراني من حديث ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما، وأشار الحافظ ابن حجر في شرح البخاري إلى أن من حكم بصحته فليس لكونه صححه لذاته، بل لوروده من هذا الطريق، وقد تأملت طرق الحديث فوجدتها كلها معلولة ـ ولله الحمد.

فأما حديث ابن مسعود فأخرجه الحاكم من طريق أيوب بن هانىء عن مسروق، عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: خرج رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله

وسلم ينظر في المقابر وخرجنا معه فأمرنا فجلسنا، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فناجاه طويلاً، ثم ارتفع نحيبه باكياً فبكينا لبكائه ثم أقبل إلينا فتلقاه عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ فقد أبكانا وأفزعنا، فجاء فجلس إلينا فقال: «أفزعكم بكائي؟ قلنا: نعم، قال: إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر آمنة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل عليّ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]ـ الآيتين؛ فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي أبكاني».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح، وتعقبه الذهبي في «مختصر المستدرك» فقال: أيوب بن هانىء ضعفه ابن معين ـ انتهى. فهذه علة تقدح في صحته، والعجب من الذهبي كيف يصحح هذا الحديث في «الميزان» اعتماداً على تصحيح الحاكم ثم يخالفه في «مختصر المستدرك»!

وفي الحديث علة ثانية وهي مخالفته لما في «صحيح البخاري» وغيره أن هذه الآية نزلت في موت أبي طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم له لم يكن.

وفيها ورد أحاديث أخر في الترمذي وغيره فيها نزول الآية على سبب غير قصة آمنة، فإن كان الذهبي رد حديث الإحياء لمخالفة هذا الحديث فهذا الحديث يرد المخالف المقطوع بصحته في «صحيح البخاري» وغيره.

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فأخرجه الطبراني، ولفظه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أقبل من غزوة تبوك وأعيم هبط من ثنية عسفان فنزل على قبر أمه ـ وذكر نحو حديث ابن مسعود في نزول الآية؛ وله علتان: مخالفة الحديث الصحيح كما سبق، وإسناده ضعيف.

وأما حديث بريدة فأخرجه ابن سعد، وابن شاهين بلفظ: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة أتى قبراً فجلس إليه ـ وذكر نحوه. وفي لفظ آخر . . . .(١) وابن شاهين من طريق آخر: لما قدم مكة أتى رسم قبر.

وعن جرير من طريق آخر: لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخن عليه الشمس، رجاء أن يؤذن فيستغفر لها فنزلت. وفي هذا الحديث من علة المخالفة ما تقدم. وله علة أخرى قال ابن سعد في «الطبقات» بعد تخريجه: هذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء ـ انتهى.

---

(١) بياض في الأصل ولعله اسم أحد الرواة.

فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معلولة. وأما قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار فإنه يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في قصة أبي طالب وغيره.

وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن بريدة أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم زار قبر أمه في ألف مقنع فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم. وهذا القدر لا علة له، وليس فيه مخالفة لشيء من الأحاديث، ولا نهي عن الاستغفار؛ وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي تحصل عند زيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه. وهذا ما فتح اللَّه لي بتحريره في هذا المحل ـ وللَّه الحمد.

## فصل

حاصل ما تقرر في حديث الإحياء أن الذين حكموا بوضعه من الأئمة الدارقطني والجوزقاني وابن ناصر وابن الجوزي وابن دحية والذين حكموا بضعفه فقط وأنه غير موضوع ابن شاهين والخطيب وابن عساكر والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري وابن سيد الناس ووجه أخذه من كلام ابن شاهين أنه أورده على أنه ناسخ لحديث الزيارة، فلو كان عنده موضوعاً لم يصح أن يحتج به على النسخ. وقد نظرنا بحسب الأصول فوجدنا العلل التي علل بها الفرقة الأولى كلها غير مؤثرة، فلذلك رجحنا قول الفرقة الثانية ـ وللَّه الحمد.

وقد وافق على ما قلته من أن الحديث ضعيف لا موضوع، الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين محدث دمشق من المتأخرين فإنه أورد الحديث من طريق الخطيب في كتابه المسمى «مورد الصادي في مولد الهادي» وأنشد عقبه:

حبا اللَّه النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

## فصل

هذا كله فيما يتعلق بإحيائها وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهي موحدة:

أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق الزهري، عن أم سلمة بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها، ومحمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم غلام يقع له خمس سنين عند رأسها، فَنَظَرَتْ إلى وجهه ثم قالت:

بارك اللَّه فيك من غلام ... يا ابن الذي من حومة الحمام

نجا بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام ... إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام ... تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام ... فاللَّه أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً، وولدت طهراً؛ ثم ماتت. فكنا نسمع نَوْح الجن عليها فحفظنا من ذلك:

## أشعار

تبكي الفتاة البرة الأمينة ... ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد اللَّه والقرينة ... أم نبي اللَّه ذي السكينة
وصاحب المنبر في المدينة ... صارت لدى حفرتها رهينة

هذا القول من أم النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم صريح في أنها موحدة، إذ ذكرت دين إبراهيم وبعث ابنها صلى اللَّه عليه وآله وسلم بالإسلام من عند ذي الجلال والإكرام، ونهيه عن عبادة الأصنام وموالاتها مع الأقوام، وهل التوحيد شيء غير هذا التوحيد: الاعتراف باللَّه وإلهيته، وأنه لا شريك له، والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها، وهذا القدر كاف في التنزيه من الكفر لثبوت صفة التوحيد في الجاهلية قبل البعث، وإنما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة.

وقد قال العلماء في حديث الذي أمر بنيه عند موته أن يحرقوه ويسحقوه ويذروه في الريح، وقوله: لئن قدر اللَّه علي ليعذبني. إن هذه الكلمة لا تنافي الحكم بإيمانه، لأنه لم يشك في القدرة ولكن جهل فظن أنه إذا فعل ذلك لا يعاد، ولا يظن بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافراً فقد كان جماعة تحنفوا وتركوا ما كان عليه أهل الشرك، وتمسكوا بدين إبراهيم عليه السلام وهو التوحيد، كزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، فكلهم محكوم بإيمانهم في الحديث ومشهود لهم بالجنة فلا بدع أن تكون أم النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم منهم، كيف وأكثر من تحنف إنما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم من أنه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا، وأم النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها.

وشاهدت في حمله وولادته من الآيات الباهرة مما يحمل على التحنف ضرورة، ورأت النور الذي خرج منها وأضاءت منها قصور الشام حتى رأتها كما ترى. . .[١] وقالت لحليمة حين جاءت به وشق صدره وهي مذعورة: أخشيت عليه الشيطان؟ كلا والله، ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لابني هذا شأن ـ في كلمات أخر من هذا النمط، وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه، وشهادتهم له بالنبوة ورجعت إلى مكة فماتت في الطريق. فهذا كله مما يؤيد أنها تحنفت في حياتها.

## فصل

فإن قلت: كيف تدرك أنها كانت موحدة في حياتها ومتحنفة، وهذا الحديث في أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الآخر: «أمي مع أمكما»، يؤذنان بخلاف ذلك، وها أنت أجبت عنهما فيما يتعلق بحديث الإحياء بأنهما متقدمان في التاريخ وذلك متأخر فكان ناسخاً، فماذا تقول في هذا؟ فإن الموت على التوحيد ينفي التعذيب البتة.

قلت: أحسن ما يقرر به الجواب أن يقال: إن قوله: أمي مع أمكما، صدر قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في تُبع: «لا أدري تبعاً مؤمناً كان أم لا»، أخرجه الحاكم وابن شاهين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أوحي إليه في شأنه: «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم»، أخرجه ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ» أيضاً من حديث سهل بن سعد وابن عباس رضي الله عنهم. فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم أولاً لم يُوحَ إليه في شأنها، أو لم يبلغه القول الذي قالته عند موتها، أو لم يذكره فإنه كان ابن خمس سنين، فأطلق القول بأنها مع أمهما جرياً على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحي إليه أمرها بعد ذلك.

ويؤيد ذلك أن في آخر الحديث: ما سألتهما ربي، فهذا يدل على أنه لم يكن بعد بينه وبين ربه مراجعة في أمرهما، ثم وقع بعد ذلك.

وأما حديث عدم الإذن في الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان ممنوعاً في أول الإسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء، ومن الاستغفار له وهو من المسلمين، وعلل ذلك بأن استغفاره مجاب على الفور، فمن استغفر له وصلى عقب دعائه وصل منزل الكريم في الجنة، والمديون محبوس عن مقامه حتى يقضى دينه كما في الحديث: «نفس المؤمن معلقة بدينه

(١) في الأصل بياض قدر كلمتين.

حتى يُقضى». فتكون أم النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم مع كونها متحنفة كانت محبوسة في البرزخ عن الجنة لأمور أخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له من الاستغفار لها إلى أن أذن اللّٰه فيه بعد ذلك.

ويحتمل أن يجاب عن الحديثين بأنها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك أصل كبير فأحياها اللّٰه تعالى له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما في شريعته، ولذلك تأخر إحياؤها إلى حج الوداع حتى تمت الشريعة ونزل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه. وهذا معنى نفيس بليغ.

## فصل

قد تأملت بالاستقراء فوجدت جميع أمهات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مؤمنات، فلا بد أن تكون أم النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم كذلك؛ وبيان ذلك يكون بالتفصيل وبالإجمال.

**أما التفصيل:** فأم عيسى عليه السلام مريم صديقة بنص القرآن وذهب طائفة إلى أنها نبية لذكرها في سورة الأنبياء مقترنة بهم، وأم إسحاق ـ عليه السلام ـ سارة مذكورة في القرآن وقيل أيضاً بنبوتها لخطاب الملائكة معها، وأم موسى وهارون عليهما السلام مذكورة أيضاً في القرآن، وقيل أيضاً بنبوتها لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧]، وأم شيث ـ عليه السلام ـ حواء أم البشر عليها السلام، وقيل بنبوتها؛ ووردت الأحاديث والآثار بإيمان هاجر أم إسماعيل، وأم يعقوب، وأمهات أولاده، وأم داود وسليمان، وزكريا، ويحيى، وشمويل، وشمعون، وذي الكفل صلاة اللّٰه وسلامه عليهم أجمعين.

ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح عليه السلام لقوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨]، ذكر الكرماني في هذه الآية عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: لم يكفر لنوح والد بينه وبين آدم عليهما السلام، ثم حكى قولاً غريباً أنهما كانا كافرين.

قلت: الصواب الأول، والأثر المذكور أخرجه ابن سعد عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، ونص جماعة على إيمان أم إبراهيم عليه السلام، رجحه ابن حبان في «البحر» في تفسير سورة إبراهيم، واسمها ثوماء من ولد أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، حكاهما ابن سعد في «الطبقات».

وأما الإجمال فأخرج الحاكم في «المستدرك» وصححه عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم السلام؛ وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث اللَّه عيسى عليه السلام فكفر به من كفر، فأمهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كلهن مؤمنات، ولم يبعث بعد عيسى أحد في الأمم.

أما العشرة فقد ثبت إيمان أم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام، وذكر إيمان أم نوح وإبراهيم ـ عليهما السلام؛ وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب ـ عليهم السلام ـ يحتاج إلى نقل أو دليل، والظاهر ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ إيمانهن. فقد ثبت بهذا الاستدلال إيمان الجميع، وكان السر في ذلك ما يرينه من النور كما ورد في الحديث، وكذلك أمهات المؤمنين يرين.

## فصل

قد عرف مما ذكرناه دليلان على أن أم النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ليست في النار وكونها متحنفة وإحياؤها حتى آمنت، فيضم إلى ذلك دليل ثالث وهو كونها من أهل الفترة، والأحاديث في أهل الفترة معروفة مشهورة، وقال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقد أورد صاحب «مرآة الزمان» كلام جده ابن الجوزي على الحديث السابق ثم قال عقبه: وقال قوم: قد قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما؟

## فصل

**ودليل رابع** وهو ما ثبت في الصحيحين أن أبا لهب رئي في نوم فقال: لم ألق بعدكم خيراً غير أني سقيت في هذه لعتيقتي ثويبة. وثويبة مولاة لأبي لهب كان أبو لهب أعتقها وكانت أرضعت النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم فإذا سقي أبو لهب وأعتق منه هذا القدر من النار مع شدة عداوته للنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم، وشدة ما لقي منه لكونه أعتق من أرضعته، فما ظنك بمن حملته في بطنها تسعة أشهر، وأرضعته أياماً وربته سنين وهي أمه؟

## فصل

**ودليل خامس**، قال ابن الجوزي: أخبرت عن أبي الحسن يحيى بن إسماعيل العلوي أنا عبد اللَّه بن محمد بن علي بن الحسن الحسيني، ثنا زيد بن حاجب، ثنا

محمد بن عمار العطار، ثنا علي بن محمد بن موسى الغطفاني، ثنا محمد بن هارون العلوي، ثنا محمد بن علي بن العباس، ثنا أبي ثنا علي الرضى بن موسى بن جعفر، ثنا أبي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن علي بن الحسين، عن أبيه عن علي - رضي اللّه عنهم - مرفوعاً: هبط جبرائيل عليه السلام علي فقال: إن اللّه يقرئك السلام ويقول: حَرَّمت النار على صُلب أنزلك، وبطن حملك، وحِجر كفلك. أما الصُّلب فعبد اللّه، وأما البطن فآمنة، وأما الحجر فعمه - يعني أبا طالب، وفاطمة بنت أسد. قال ابن الجوزي: في إسناده كما ترى، وأبو الحسن العلوي رافضي غال، قلت: فاطمة بنت أسد آمنت وصحبت وهاجرت رضي اللّه عنها.

## فصل

العجب ممن يقطع بكون أبوي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في النار اعتماداً على قوله: أمي مع أمكما، وقوله: إن أبي وأباك في النار، ونحوهما من الأحاديث ويلغي ما عارضهما بالكلية.

وللمسألة نظير صحيح للناس فيها خلاف وهي مسألة أطفال المشركين فقد ورد في أحاديث كثيرة الجزم بأنهم في النار، وفي أحاديث قليلة أنهم في الجنة، وصحح الجمهور هذا منهم النووي وقال: إنه المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى، هذا كلام النووي، وذكر غيره أن أحاديث كونهم في النار منسوخة بأحاديث كونهم في الجنة.

ويوضح النسخ ما أخرجه ابن عبد البر عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: سألت خديجة - رضي اللّه عنها - رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم عن أولاد المشركين فقال: «هم من آبائهم، ثم سألته بعد ذلك فقال: اللّه أعلم بما كانوا عاملين»، ثم سألته بعدما استحكم الإسلام فنزلت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فقال: إنهم على الفطرة - أو قال: في الجنة. فهذا يدل على النسخ.

وكذا القول في الأحاديث التي وردت في أن أبوي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في النار كلها منسوخة إما بإحيائهما وإيمانهما، وإما بالوحي في أن أهل الفترة لا يعذبون، ومن جملة الأقوال في الأطفال أنهم في مشيئة اللّه تعالى لا يحكم عليهم بشيء.

وهذا هو المنقول عن الشافعي والأئمة لحديث «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال:

«اللَّه أعلم بما كانوا عاملين»، ومعناه أن من علم اللَّه منه الإيمان لو عاش أدخله الجنة، ومن علم منه الكفر لو عاش أدخله النار.

وكذا يقال في أبوي النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وألطف بهما: أنهما لو عاشا إلى بعثه لبادرا إلى الإيمان به مسرعين فيكونان من أهل الجنة.

ومن جملة الأقوال في الأطفال أنهم يمتحنون في الآخرة، فمن أطاع أدخله اللَّه الجنة، ومن عصى أدخله النار، وصححه البيهقي. وهذا بعينه ورد به الأحاديث الصحيحة في أهل الفترة:

وأخرج البزار وأبو يعلى، عن أنس رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني، كلهم يتكلم بحجته فيقول اللَّه تعالى: اتقوا من النار، ويقول لهم: إني كنت أبلغت إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه، فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب؛ أتدخلناها وما كنا نعرف؟ ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعاً، فيقول اللَّه: قد عصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية، فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار».

وأخرج أحمد وابن راهويه في مسنديهما والبيهقي في كتاب «الاعتقاد» وصححه عن الأسود بن سريع عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم، ورجل مات في فترة ـ إلى أن قال: وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب! ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه؛ فيرسل إليهم أن ادخلوا النار! فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يسحب إليها».

وأخرج البزار عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه: أي رب! لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: لم أدرك العمل، فترفع لهم نار فيقال لهم: ردوها فيردها من كان في علم اللَّه سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم اللَّه شقياً لو أدرك العمل».

وأخرج البزار عن ثوبان رضي اللَّه عنه أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربهم فيقولون: ربنا لم ترسل إلينا رسولاً، ولم يأتنا لك أمر، ولو أرسلت

إلينا رسولاً لكنا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم: أرأيتم إن أمرتكم بأمر أتطيعونني؟» ـ وذكر نحو ما تقدم.

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مثله، وفي الباب أحاديث أخر. وهذه الأحاديث هي العمدة في المسألة وكل ما شابهها، وعليها بنى الفقهاء أصولهم ومذاهبهم في أنه لا يحكم على أحد معين من أهل الفترة أنه في النار، بل هو في مشيئة الله موقوف على الامتحان، وقد صرح في حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ بجريان هذا الحكم في أهل الجاهلية عبدة الأوثان، فمن لم يثبت عنه عبادة فهو من باب أولى، وأبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يثبت عنهما ما ثبت من أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، بل ولا ثبت ذلك من أحد من أصوله بل ثبت أو كاد يثبت انتفاؤه عن جميع أجداده، كما سيأتي الإشارة إليه.

ويؤخذ من هذه الأحاديث الرد على ابن دحية في كلامه السالف عنه وقوله: إن الإيمان بعد الموت لا ينفع، فإذا كان الإيمان ينفع أهل الفترة في الآخرة التي ليست بدار تكليف، وقد شاهدوا جهنم بشهادة هذه الأحاديث فلأن ينفعهم بالإحياء في الدنيا من باب أولى، وعلى تقدير عدم ثبوت إحيائهما في الدنيا فالظن بهما عند الامتحان في الآخرة أن يطيعا ويهديهما الله لتقرّ به عين النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

## فصل

ظهر لي نكتة لطيفة جداً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، حيث قرن بين هاتين الجملتين فإن الأولى متعلقة بأطفال المشركين اعتمد بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين نزلت وأخبرهم بأنهم في الجنة بعد إخباره بأنهم في النار كما تقدم في حديث عائشة رضي الله عنها، والثانية متعلقة بأهل الفترة: وهم والأطفال مشتركون في عدم التعذيب لأمرين: أحدهما: عدم بلوغ الدعوة لعدم العقل المدرك لها في الأطفال وانتفائها بالكلية وعدم ورودها في أهل الفترة، والثاني عدم التكليف لعدم شرطه وهو البلوغ في الأطفال.

وورد الشرع في أهل الفترة إذ لا حكم قبل البعثة، فلهذا قرنت الجملتان وذلك من بدائع أسرار القرآن، ولهذا اعتمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الجملة الثانية في الحكم على أهل الفترة بأنهم يمتحنون في الآخرة ولا يبادرون بالعذاب بعد إخباره بما يقتضي أنهم في النار ابتداء، فكان الإخبار أولاً في الفريقين على حد سواء والنازل فيهما جملتان مقترنتان، والإخبار ثانياً متحد عنهما أيضاً وهو أنهم لا يعذبون.

وقد صححه النووي والمحققون في الأطفال، وذهب آخرون إلى أنهم يمتحنون، وجزم به أهل السنة قاطبة في أهل الفترة، فوجب انتفاء التعذيب عن أبوي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بما جزموا به بالامتحان في أهل الفترة، وجرى في الأطفال خلاف وصح كونهم في الجنة لأجل مزية البلوغ والعقل في أولئك. ويدل لكون النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم إنما حكم على أهل الفترة بالامتحان ورفع العذاب اعتماداً على هذه الآية ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر في تفاسيرهم بسند صحيح عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع اللّه أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام، ثم يرسل إليهم رسولاً فيطيعه من كان يريد أن يطيعه، ثم قال أبو هريرة رضي اللّه عنه: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، إسناده على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع.

## فصل في نقل مذهب أهل السنة فيمن هو قبل الدعوة

قال أهل الأصول قاطبة: شكر المنعم ليس بواجب عقلاً خلافاً للمعتزلة، قال الكيا الهراسي وغيره: المراد بشكر المنعم امتثال الأوامر واجتناب النواهي من الكفر وغيره.

وقال ابن السبكي في شرح «مختصر ابن الحاجب»: وذهب بعض أصحابنا إلى موافقة المعتزلة كابن شريح والصيرفي والقفال الكبير، وابن أبي هريرة والقاضي أبي حامد، وقد اعتذر القاضي أبو بكر الباقلاني في «التقريب» والأستاذ أبو إسحاق في أصوله والشيخ أبو حامد الجويني في «شرح الرسالة» عمن وافق المعتزلة من أصحابنا بأنهم لم يكن لهم قدم راسخ في الكلام، وربما طالعوا كتب المعتزلة فاستحسنوا هذه العبارة وهي شكر المنعم واجب عقلاً، فذهبوا إليها غافلين من تشعبها عن أصل المعتزلة مع علمنا بأنهم ما اقتحموا مسالكهم وما تبعوا لمقاصدهم.

قال ابن السبكي: وهو كلام حق بالنسبة إلى ما عدا القفال الكبير، أما القفال فكان إماماً في الكلام مقدماً إلا أنه كان أول أمره معتزلياً فقال هذه المقالة، ثم لما رجع عن الاعتزال لا بد أن يكون رجع عن ذلك.

قال ابن السبكي: وعلى مسألة شكر المنعم يتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجياً، ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وهو مضمون بالكفارة والدية ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح إذ هو ليس بمسلم ـ انتهى كلامه. وهو صريح في نجاته وأنه لا يدخل النار، وأنه يدخل الجنة مع كونه لا يسمى

مسلماً، وهذا غير مسألتنا إن ثبت في شيء من الحديث إطلاقاً اسم على المحل المتنازع فيه وإنما. . .[١] كما سأشير إليه.

## فصل

أورد الزركشي في «شرح الجوامع» لقاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً ثلاثة أدلة من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، أي لم يأتهم الرسل والشرائع، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧].

قلت: أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية الأخيرة عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الهالك في الفترة يقول: رب لم يأتني كتاب ولا رسول، ثم قرأ هذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾». إسناده حسن.

ومن الآيات الواردة في هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤]، أخرج ابن أبي حاتم عند هذه الآية عن عطية العوفي قال: الهالك في الفترة يقول: رب لم يأتني كتاب ولا رسول وقرأ هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا﴾ ـ إلى آخر هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في هذه الآية قال: احتج عليهم بالعمر والرسل، وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في هذه الآية: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، قال: فيقولون: ما أرسلت إلينا رسولاً.

فإن قلت: كيف يكون حكم أهل الفترة حكم من لم تبلغه الدعوة وحكم ما قبل البعثة، وقد كانت شريعة موسى وعيسى عليهما السلام إذ ذاك موجودة؟

قلت: دلت الأدلة على أن العرب لم يكونوا مخاطبين بها، ولا مكلفين

(١) في الأصل بياض.

بإتيانها، ولهذا وردت الأحاديث في الهالك في الفترة صريحة، ولو كان المراد بما قبل البعثة أن لا يكون بعث رسول في الدنيا أصلاً لاستحال وجود ذلك، إذ ما من فترة إلا قبلها نبي إلى آدم عليه السلام وهو أول الأنبياء وليس قبل آدم بشر، والقرآن أيضاً ناطق بذلك قال اللّه تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٥، ١٥٦].

وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾، قال اليهود والنصارى: خاف أن يقوله قريش؛ وبهذا القول يندفع ما وقع في «شرح مسلم» في حديث: إن أبي وأباك في النار، من قوله: إن أهل الجاهلية لا يجري عليهم حكم من لم تبلغه الدعوة لتقدم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء، كيف وفي الحديث السابق من رواية ثوبان: إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم ـ وذكر بقية الحديث في الامتحان، فهذا نص في المسألة وبقية الحديث شاهدة على الهالك في الفترة ما بين النبيين، واشتهرت لما بين عيسى والنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، وإذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعري من هم؟

وقد قال الرافعي في الروضة: من لم تبلغه دعوة نبينا عليه السلام لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام، فلو قتل كان مضموناً قطعاً، وكيف يضمن من قتل من بلغته الدعوة فلم يؤمن؟ أما الكفارة فتجب بلا تفصيل. ثم له ثلاثة أحوال: **أحدها**: أن لا تكون بلغته دعوة نبي أصلاً، فلا قصاص على الصحيح، وأوجبه القفال، وهل يجب دية مجوسي أو مسلم؟ وجهان أصحهما الأول؛ **والثاني**: أن يكون مستمسكاً بدين لم يبدل ولم يبلغه ما يخالفه، فلا قصاص على الأصح، وقيل: يجب دية مسلم أو يجب دية أهل ذلك الدين وجهان أصحهما الثاني؛ **والثالث**: أن يكون مستمسكاً بدين لحقه التبديل لكن لم يبلغه ما يخالفه، فلا قصاص قطعاً، ويجب دية مجوسي في الأصح ـ انتهى.

وهل يمكن أن يوجد في أطراف الأرض من لم يبلغه أن اللّه بعث نبياً أصلاً من لدن آدم ـ عليه السلام، وبعثة أنبياء اللّه تعالى ووقائعهم مشهورة ولو لم تكن إلا بعثة نوح وإقامته ألف سنة إلا خمسين عاماً والطوفان الذي غرق أهل الأرض جميعاً؛ فلو اخترنا مطلق وجود الأنبياء عليهم السلام لاستحال وجود من لم تبلغه الدعوة، ولسقطت الأحاديث والآثار الواردة في أهل الفترة بأسرها على كثرتها

وصحتها، ويحكم عليهم جميعاً بأنهم في النار من غير امتحان، وفي أهل الفترة وردت الأحاديث الثابتة الصحيحة.

فإن قلت: لم يتضح في هذا كل الاتضاح فزد لي بياناً بوجهه، قلت: وجهه مجموع أمور: طول المدة من لدن بعثة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فإنه لم يبعث في العرب نبي بعد إسماعيل وحدث التغير في دينهما، وتمادي الزمان عليه وفقد من ينقل شريعتهما على وجهها، وتدارك القرون قرناً بعد قرن مستمسكين بذلك المغير حتى نشأ قوم فلم يجدوا إلا ذلك، ولم يسمعوا بحقيقة دين إبراهيم على وجهه، ولا وجدوا من يخبرهم به، فهم يصدق عليهم أنهم لم تبلغهم الدعوة، ولهذا استنكروا ما جاء به النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم وتعجبوا منه، ونسبوه إلى أنه أتى بدين محدث لا يعرف، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ * إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ * وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٥ـ٧]، وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ولو كان عندهم علم بدعوة الأنبياء عليهم السلام على ما هي عليه لعرفوا أن دعوة النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم من نمط دعوتهم، فلهذا أسلم كثير من العرب لما سمع من أهل الكتاب الشهادة له بالتصديق، ولم يكن كفرهم إنكاراً للصانع ولألوهيته، ولا ادعوا في الأصنام أنها تخلق وتدبر كما ادعى نمرود وقومه، بل كانوا يقرون للّٰه بالإلٰهية وأنه الخالق المدبر كما قال اللّٰه تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وكانوا يزعمون الأصنام أنها تشفع لهم عند اللّٰه كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، كما قال اللّٰه تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فعرف بذلك أن كفرهم كفر إشراك لا كفر إنكار لوجود الصانع، وأن ذلك صادر عن الجهل بما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام وعدم بلوغه لهم على وجهه.

ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، فإذا كان اللّٰه أنذر أهل الكتاب بأن بعث رسولاً إليهم به بعد الفترة بين لهم ما بدله الأحبار وكتموه لئلا يحتجوا بقولهم: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، وهم كانوا أهل الكتاب عالمين بشريعة موسى عليه السلام في الجملة، غير أنهم تمسكوا بما لحقه التبديل لكونهم

قلدوا فيه أسلافهم، ولم يكونوا أهلاً لتمييز الحق من الباطل، فما ظنك بالعرب الأميين الذين ليسوا أهل الكتاب ولا يدرون ما الكتاب؟

## تنبيه

الذي عندي أنه لا ينبغي أن يفهم من قول النووي في شرح مسلم في حديث أن رجلاً قال: يا رسول اللّه أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفا دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار، فيه إن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت بلغتهم دعوة إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء؛ أنه أراد بذلك الحكم على أبي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم. بل ينبغي أن يفهمه أنه أراد الحكم على أبي السائل، وكلامه ساكت عن الحكم على الأب الشريف.

## فصل

ظهر لي في حديث: إن أبي وأباك في النار، علتان:

**إحداهما**: من حيث الإسناد، وذلك أن الحديث أخرجه مسلم وأبو داود من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي اللّه عنه أن رجلاً قال: يا رسول اللّه أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفا دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار، وهذا الحديث تفرد به مسلم عن البخاري، وفي أفراد مسلم أحاديث تكلم فيها، ولا شك أن يكون هذا منها.

**أما أولاً**: فثابت وإن كان إماماً ثقة فقد ذكره ابن عدي في «كامله في الضعفاء» وقال: إنه وقع في أحاديثه نكرة، وذلك من الرواة عنه، فإنه روى عنه الضعفاء، وأورده الذهبي في «الميزان».

**وأما ثانياً**: فحماد بن سلمة وإن كان إماماً عابداً عالماً فقد تكلم جماعة في روايته، وسكت البخاري عنه فلم يخرج له شيئاً في صحيحه.

وقال الحاكم في «المدخل»، ما أخرج مسلم لحماد بن سلمة في الأصول إلا حديثاً عن ثابت، وقد خرج له مسلم في الشواهد عن طائفة. وقال الذهبي: حماد ثقة، له أوهام، وله مناكير كثيرة، وكان لا يحفظ، فكانوا يقولون: إنها دُسَّتْ في كتبه، وقد قيل: إن ابن أبي العرجاء كان ربيبه وكان يدس في كتبه.

ومن مناكيره ما رواه عن ثابت عن أنس رضي اللّه عنه أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قرأ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه فساخ الجبل. هذا الحديث أخرجه أحمد والترمذي والحاكم

وقال: صحيح على شرط مسلم، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» وقال: إنه لا يثبت وإنه مما دسه ربيبه عليه، والمناكير في رواية حماد كثيرة.

وإنما أوردت هذا لأنه بسند الحديث الذي نحن في تعليله، ومن أنكر رواياته ما رواه عن قتادة عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: رأيت ربي جعداً أمرد عليه خضر. وهذا أيضاً أورده في الموضوعات، فبان بهذا أن الحديث المتنازع فيه لا بد أن يكون منكراً، وقد وصف أحاديث كثيرة في مسلم بأنها منكرة.

**العلة الثانية**: من حيث المتن، وهي مبنية على مقدمة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سأله أعرابي وخاف من إفصاح الجواب له فتنة واضطراب قلبه أجابه بجواب فيه تورية وإيهام، كالحديث الذي أخرجه البخاري أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأله رجل عن الساعة فنظر إلى أحدث القوم سناً فقال: «إن يستفد هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة».

قال: قال العلماء: كان الأعراب يسألونه كثيراً عن الساعة، فخشي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: لا أعلمها فتنتهم وشكهم، فأجابهم بجواب فيه تورية ومراده إن بلغ هذا الغلام أقصى العمر لم يمت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم بأن يموتوا، وقيام ساعة كل واحد موته.

إذا عُرف ذلك فالذي عندي في هذا الحديث: إن أبي وأباك في النار، ليس رواية باللفظ بل رواها الراوي بالمعنى فوهم ذلك، وإنما تكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلام مورًى ففهم منه السامع فقاله.

وقد وضح لنا من ذلك طريق آخر للحديث رواه معمر عن ثابت فلم يذكر: أن أبي وأباك في النار، وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وآله وسلم بأمره البتة، وهو أثبت من حيث الرواية، فإن معمراً لم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه، واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت، ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس ـ رضي الله عنه، فقد أخرج البزار في «مسنده» والطبراني في «المعجم الكبير» بسند رجال الصحيح، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار، قال: فأين أبوك؟ قال: حيث مررت بقبر كافر فبشره بالنار، وهذا حديث صحيح وفيه فوائد:

منها بيان أن السائل كان أعرابياً، وهو مظنة خشية الفتنة والردة.

ومنها بيان جواب فيه إيهام وتورية، إذ لم يصرح فيه بأن الأب الشريف في النار، إنما قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار، وهذا جملة لا تدل بالمطابقة على ذلك، إنما قد يفهم منها ذلك بحسب السياق والقرائن، وهذا شأن التورية والإيهامات، فكره صلى اللّه عليه وآله وسلم أن يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه في المحل الذي هو فيه خشية ارتداده، لما جبلت عليه النفس من كراهة الاستيثار عليها.

ولما كانت عادة الأعراب من غلظ القلوب والجفاء أورد له جواباً موهماً تطييباً لقلبه، فكانت هذه الطريق من طرق الحديث في غاية الإتقان، ولهذا قال بعض الحفاظ: لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عقلناه ـ يعني اختلاف الرواة في إسناده وألفاظه.

وقد وقع في «الصحيحين» أحاديث كثيرة من هذا النمط، وهم فيها الرواة في بعض الألفاظ فبينها النقاد، منها حديث مسلم في نفي قراءة البسملة وقد أعله الشافعي بذلك وقال: إن الثابت من طريق آخر نفي سماعها ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه نافياً في أشياء أخر مبينة في كتب الحديث.

فبان بهذا تعليل الحديث من هذه الجهة، ولا يكون ذلك قدحاً في صحة الحديث من أصله بل في هذا اللفظ فقط، وكذلك حديث: أمي مع أمكما، على ضعف إسناده لا يلزم منه كونها في النار لجواز أن يكون أراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ أو غير ذلك تورية وإيهاماً تطييباً لقلوبهما.

فإن قلت: قد تقرر أن أهل الفترة لا يقضى عليهم بكونهم في النار حتى يمتحنوا، فكيف حكم النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم على أب السائل بأنه في النار؟

قلت: ظهر لي عن ذلك أربعة أجوبة: **الأول**: إن هذا الحديث متقدم على الأحاديث الواردة في أهل الفترة فيكون منسوخاً بها، كما أخبر أولاً عن أطفال المشركين بأنهم في النار، ثم نسخ ذلك. **الثاني**: إنا لم نقطع بعدم النار في أهل الفترة بل قلنا: يمتحنون فمن أطاع دخل الجنة ومن لا دخل النار. فيمكن أن يكون النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم اطّلع في حق هذا بخصوصه على أنه يعصي عند الامتحان فيدخل النار، وأوحي إليه بذلك فحكم بأنه من أهل النار.

**الثالث**: أنه يمكن في هذا الرجل أن يكون ممن دخل يثرب والشام واجتمع بأهل الكتاب وبلغه دعوة موسى وعيسى عليهما السلام وأصر على الشرك فلم يعذر.

**الرابع**: أنه يمكن أن يكون عاش حتى أدرك بعثة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وبلغه ذلك وأصر ومات في عهده وهذا لا عذر له البتة.

فإن قلت: فأبوا النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قد دخلا يثرب واجتمعا باليهود فلزمهما ما قلت في الجواب الثالث، قلت: الجواب عنهما من ثلاثة أوجه: **الأول**: أنه يحتاج إلى ثبوت أن اليهود دعوهما إلى الدين، وهذا لم ينقل فنحكم عليهما خصوصاً أنهما لم يقيما بالمدينة إلا أياماً قلائل لا تسع ذلك. أما عبد اللّه فإنه مر بها في سفره إلى الشام ورجع فدخلها وهو مريض فأقام بها شهراً مريضاً ومات، وهذه المدة مع المرض لا تسع اجتماعاً بأحد ولا سؤالاً عن دين، وأما آمنة فقدمت المدينة زائرة لأقاربها فأقامت بها أيضاً شهراً، ومعها النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم فرجعت فماتت بالطريق. **الثاني** أن نقول: أي مانع أن يكونا دعيا إلى الدين فأجابا وإن لم ينقل الأمران! وكيف ينسب إليهما الامتناع وقد نشر أمر أهل الكتاب والكهان وغيرهم بنبوة ولدهما قبل ولادته وصدقا بذلك وبشرا به، وبشرت به أمه قبل ولادته وعند ولادته وبعد ولادته وصدقت بذلك، وقالت الأبيات السابقة عند موتها! وهل ينسب إليهما الشرك وقد أخبرا عن ولدهما أنه يبعث رسولاً عن اللّه بالتوحيد وكسر الأصنام وصدقا بذلك، وهل الإسلام شيء غير هذا التصديق! الثالث أنا ندعي أنهما كانا من أول أمرهما على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام وأنهما لم يعبدا صنماً قط، وسنقرر ذلك قريباً بأدلة.

## تذنيب

من اللطائف في أمرهما أنهما ماتا شابين فلم يبلغا سناً تقوم به الحجة عليهما كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]، قيل: هو ستون سنة، وقيل: أربعون سنة، وفي الحديث: «لقد أعذر اللّه إلى امرىء أخره من العمر ستين سنة»، وفي الأثر: قد تمت حجة اللّه على ابن الأربعين؛ وكان عمر والد النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم حين توفي خمساً وعشرين سنة كما قال الواقدي: إنه أثبت الأقاويل في سنه، وكان عمر أمه حين توفيت قريباً منه.

## فصل

في الدليل على أن أبوي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وأجداده إلى إبراهيم عليه السلام كانوا على الحنيفية دين إبراهيم، ولم يكونوا على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان.

أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ

ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال: فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته في ولده، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سفيان بن عيينة أنه سئل: هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام؟ قال: لا، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾؟ وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠]. قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله. قلت: ويمكن أن يحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، فقد أخرج ابن سعد في «الطبقات» والبزار والطبراني وأبو نعيم في «الدلائل» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، قال: من نبي إلى نبي، ومن نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبياً، ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في أصلاب الأنبياء عليهم السلام، ويمكن أن يحمل على أعم منهم وهم المصلون الذين لا زالوا في ذرية إبراهيم لو صح أنه ليس في أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنبياء بكثرة بل إسماعيل وإبراهيم ونوح وشيث وآدم وإدريس عليهم السلام في قول.

## فصل

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه» أخرجه البخاري في حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم». أخرجه مسلم من حديث واثلة، فالخيرية والاصطفاء يشعر بالإسلام. وطريقة أخرى في الاستدلال أخرج الإمام أحمد في «الزهد» والخلال في «كرامات الأولياء» بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض، ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان فيه وحده.

وأخرج أحمد في «الزهد» عن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب.

وأخرج الخلال في «كرامات الأولياء» عن زاذان قال: ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً يدفع اللّه بهم عن أهل الأرض. هذه الآثار مع أثر ابن جريج السابق في أنه ما زال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون اللّه، يدل على أن أجداد النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كانوا على الحنيفية من زمن إبراهيم عليه السلام.

وبيان ذلك أنهم لو كانوا على الكفر فلا يخلو إما أن يكون الذين على الفطرة ويدفع بهم غيرهم، أو لا يكون أحد كذلك، والثاني: باطل خلاف الوارد في هذه الآثار الصحيحة، والأول: باطل أيضاً لأنه يلزم عليه أن يكون غيرهم خيراً منهم إذ لا يكون كافر خيراً من مسلم، وهذا باطل بمخالفة حديث البخاري المصدر به هذا الفصل، وهو أنه بعث من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً إلى القرن الذي كان فيه.

فهذا يدل على أن كل أصل من أصوله خير قرنه، ولا يكون كذلك وهو كافر وفي قرنه مسلم، فتعين أن يكون مسلماً، والأحاديث متواترة بمعنى حديث البخاري.

أخرج البيهقي في «دلائل النبوة» عن أنس رضي اللّه عنه أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني اللّه في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي ولم يصبني شيء من عهد الجاهلية، خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أمي؛ فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً».

وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» من طرق عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لم يلتق أبواي على سفاح، لم يزل اللّه ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «خير العرب مضر، وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بني عبد مناف بنو هاشم، وخير بني هاشم عبد المطلب؛ واللّه ما افترق فرقتان منذ خلق اللّه آدم ـ عليه السلام ـ إلا كنت في خيرهما». والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد أوردتها في أول كتاب «المعجزات».

وأخرج ابن أبي عمرو العدني في مسنده عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن قريشاً كانت نوراً بين يدي اللّه عز وجلّ قبل أن يخلق آدم ـ عليه السلام ـ ألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق اللّه آدم ألقى ذلك النور في

صلبه، قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «فأهبطني اللَّه إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقدرني في صلب إبراهيم؛ ثم لم يزل اللَّه ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي، ولم يلتقيا على سفاح قط».

وأخرج البيهقي في «الدلائل» والطبراني في «الأوسط»، عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «قال لي جبريل ـ عليه السلام ـ قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم، ولم أجد بني أب أفضل من هاشم». قال الحافظ ابن حجر في «أماليه» بعد أن أورد هذا الحديث: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

## فصل

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة: وأبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ ما زال عين الرضى معه، فاختلف الناس في مراده بهذا الكلام، فقال بعضهم: إن الأشعري يقول: إن أبا بكر الصديق رضي اللَّه عنه كان مؤمناً قبل البعثة، وقال آخرون: بل أراد أنه لم يزل بحالة غير المغضوب عليه فيها لعلم اللَّه تعالى بأنه يصير من خلاصة الأبرار.

قال الشيخ تقي الدين السبكي: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة رضي اللَّه عنهم في ذلك، وهل العبارة التي قالها الأشعري في حق الصديق رضي اللَّه عنه لم يحفظ منه في حق غيره؟ فالصواب أن يقال إن الصديق رضي اللَّه عنه لم تثبت عنه حالة كفر باللَّه قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه، ولهذا خصص الصديق رضي اللَّه عنه بالذكر عن غيره من الصحابة رضي اللَّه عنهم ـ انتهى.

قلت: وهذا الذي قاله السبكي في الصديق رضي اللَّه عنه نقوله نحن في أبوي النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وأجداده مع أن الصديق رضي اللَّه عنه وزيد بن عمرو بن نفيل إنما حصل لهما التحنف في الجاهلية ببركة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم، فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة، وكانا يودانه كثيراً.

## فصل

فيمن نص على إسلامه من أجداد النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم صريحاً.

أخرج ابن حبيب في «تاريخه» عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم، فلا تذكروهم إلا بخير.

قال السهيلي في «الروض الأنف»: يذكر عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تسبوا إلياس ـ عليه السلام فإنه كان مؤمناً، وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بالحج».

وأخرج الزبير بن بكار مرفوعاً: لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين.

وقال ابن سعد في «الطبقات»: أخبرنا خالد بن خداش، حدثنا عبد اللّه بن وهب، أخبرني سعد بن أبي أيوب، عن عبد اللّه بن خالد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم». وقال السهيلي في «الروض الآنف» إن كعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة، وكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به، وينشد في هذا أبياتاً منها قوله:

يا ليتني شاهد نجواء دعوته    إذا قريش تبغي الحق خذلانا

وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب «الأحكام» له ـ انتهى.

قلت: أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وفي آخره: وكان بين موت كعب ومبعث النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم خمس مائة وستون سنة. وقد سقت الخبر بلفظه في أول كتاب «المعجزات».

## فصل

أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن عبد المطلب قال: لما قدم أصحاب الفيل وقد صعد جبل أبي قبيس:

### أشعار

لا هُمَّ إن المرء يمنع    رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم    ومحالهم أبداً محالك

وأورده جماعة بلفظ:

فانصر على آل الصليب    وعابديه اليوم آلك

هذا يدل على أنه كان على الحنيفية حيث تبرأ من الصليب وعابديه.

وفي «طبقات» ابن سعد بأسانيده أن عبد المطلب قال لأم أيمن ـ وكانت تحضن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريباً من الصدودة، وإن أهل الكتاب يقولون: ابني نبي هذه الملة.

## فصل ـ في بعض من تحنف في الجاهلية

أخرج البزار والحاكم في «المستدرك» وصححه عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «لا تسبوا ورقة بن نوفل فإني قد رأيت له جنة أو جنتين».

وأخرج البزار عن جابر رضي اللَّه عنه قال: سألنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل فقيل: يا رسول اللَّه إنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول: ديني دين إبراهيم وإلهي إله إبراهيم ويسجد، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «يحشر ذاك أمة واحدة بيني وبين يدي عيسى ابن مريم» ـ عليهما السلام، وسألناه عن ورقة بن نوفل كذلك فقيل: يا رسول اللَّه كان يستقبل القبلة ويقول: إلهي إله زيد وديني دينه، فقال: «رأيته يمشي في بطن الجنة عليه حلة من سندس».

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال في خطبته: سيجيئكم حق من هذا الوجه ـ وأشار بيده نحو مكة ـ قالوا له: ما هذا الحق؟ قال: رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد، فإن دعاكم فأجيبوه ولو علمت أني أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسبقهم إليه.

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن عبسة السلمي قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية وعلمت أنها الباطل، يعبدون الحجارة. وأخرج أبو نعيم عن عبد اللَّه بن سلام ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: لم يمت تبّع حتى صدق بالنبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لما كان يهود يثرب.

حديث: «لا تسبوا تبَّعاً فإنه كان قد أسلم».

وأخرج الخرائطي وابن عساكر في «تاريخه» عن جامع أن الأوس بن حارثة كان يذكر دعوة الحق وبعث النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم، وأوصى بذلك ولده مالكاً عند موته. وقد سقت الخبر بتمامه في المعجزات.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل من طريق الشعبي عن شيخ من جهينة أن عمرو بن حبيب الجهني ترك الشرك في الجاهلية وصلى للَّه وعاش حتى أدرك الإسلام. وسقت الخبر أيضاً بتمامه في المعجزات.

وأخرج الطبراني في «الكبير» بسند رجاله ثقات عن غالب بن أبجر رضي اللَّه عنه قال: ذكر قس عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم فقال: «رحم اللَّه قساً

قيل: يا رسول اللَّه ترحم على قس؟ قال: نعم، إنه كان على دين أبينا إسماعيل بن إبراهيم» ـ عليهما السلام.

## فصل

قال الشهرستاني في «الملل والنحل»: كانت العرب على قسمين: معطلة ومحصلة.

فالمعطلة أصناف: منهم من أنكر الخالق والبعث والإعادة، وقال بالطبع المحيي والدهر المفني، وهم الذين أخبر اللَّه تعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ومنهم من أقر بالخالق والابتداء والإبداع، وأنكر البعث والإعادة وهم الذين أخبر اللَّه عنهم بقوله: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

ومنهم من أقر بالخالق والإبداع ونوع من الإعادة، وأنكر الرسل وعبد الأصنام، وزعم أنها شفعاء له عند اللَّه في الآخرة؛ وهم أكثر من العرب إلا شرذمة منهم.

وأما المحصلة فكانوا على ثلاثة أنواع من العلوم:

علم الأنساب والتواريخ والأديان، ويعدونه نوعاً شريفاً خصوصاً معرفة أجداد النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم، والاطلاع على ذلك النور الوارد من إبراهيم إلى إسماعيل ـ عليهما السلام ـ وتواصله في ذريته إلى أن ظهر بعض الظهور في أسارير عبد المطلب. وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده. وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور. وببركته قال لأبرهة:

إن لهذا البيت رباً، ومنه يحفظه، قال وقد صعد أبا قبيس:

لا هُمَّ إن المرء يمنع رحله فأمنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك

وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة ـ إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال: واللَّه إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء بإساءته. ومما يدل على إثباته المعاد والمبدأ أنه كان يصرف بالقداح على عبد اللَّه ابنه ويقول: يا رب أنت الملك المحمود، وأنت ربي الملك المعبود، من عندك الطارف والتالد.

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب أمروا أبا طالب أن يحضر بالنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وهو صغير، فاستسقى به وأنشد في ذلك أبو طالب بقوله:

شعر

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال[١] اليتامى عصمة للأرامل

والنوع الثاني علم الرؤيا، والنوع الثالث علم الأنواء، وهو علم الكهانة والقيافة.

ومن العرب من يؤمن باللّه واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع. فممن كان يعتقد الدين الحنيفي زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الأيادي، وعامر بن الظرب العدواني. وممن كان قد حرم الخمر في الجاهلية قيس بن عاصم التميمي، وصفوان بن أمية الكناني، وعقيب بن معد يكرب الكندي.

وممن كان يؤمن بالخالق وبخلق آدم عليه السلام طلحة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة. ومنهم زهير بن أبي سلمى وكان يمر بالعضاة[٢] وقد أورقت بعد يبس ويقول: لولا أن تسبني العرب لآمنت، أن الذي أحياك بعد يبس سيحيي العظام وهي رميم، ثم آمن بالبعث بعد ذلك وقال في قصيدته المشهورة:

**شعر**

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم

وكان بعض العرب إذا حضره الموت يقول لولده: ادفنوا معي راحلتي حتى أحشر عليها فإن لم تفعلوا حشرت على رجلي. وكانوا في الجاهلية يحرمون أشياء نزل القرآن بتحريمها كنكاح الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمات، وكانوا يطوفون ويسعون ويلبون ويفعلون المناسك كلها ويهدون الهدايا ويرمون الجمار، ويحرمون الأشهر الحرم، ويغتسلون ويغسلون أمواتهم ويكفنونهم، وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشرة التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام، ويوفون بالعقود، ويكرمون الضيف، ويقطعون يد السارق؛ وكان دين إبراهيم قائماً والتوحيد شائعاً في صدر العرب، وأول من غيره ووضع عبادة الأصنام عمرو بن لحي ـ وهذا كله كلام الشهرستاني.

(١) غياث.
(٢) الشجر العظيم ويكون له شوك.

قال ابن الجوزي في التلقيح تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية: أبو بكر الصديق ـ رضي اللّه عنه ـ، زيد بن عمرو بن نفيل، عبد اللّه بن جحش، عثمان بن الحويرث، ورقة بن عمرو بن نوفل، رباب بن البراء، أبو بكر أسعد الحميري، قس بن ساعدة الأيادي، أبو قيس بن صرمة.

## فصل

ثم رأيت الإمام فخر الدين الرازي احتج بما احتججت من أن آباء النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كلهم كانوا على التوحيد فقال في كتابه أسرار التنزيل ما نصه: قيل: إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوه: منها أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً ويستدل عليه بوجوه: منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ـ ٢١٩]، فقيل: معناه أنه كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين. وأقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، على وجوه أخرى، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان.

ومما يدل على أن آباء محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات». وقال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً ـ هذا كلام الإمام بحروفه. واللّه أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

وفي الختام ندعو اللّه سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. وصلى اللّه على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

# السبل الجلية في الآباء العلية

الحمد للَّه وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، هذا سادس مؤلف ألفته في مسألة والدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم اللذين يقال في حقهما: إنهما ناجيان ومحكوم لهما في الآخرة بالنجاة ودخول الجنة كما ذهب إليه جمع من الأئمة، ثم اختلفوا في توجيه ذلك على سبل:

## السبيل الأول

إنهما لم تبلغهما الدعوة لأنهما كانا في زمن الجاهلية التي عم فيها الجهل طبق الأرض، وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصاً وقد ماتا في حداثة السن، فإن والده صلى اللَّه عليه وآله وسلم صحح الحافظ صلاح الدين العلائي أنه عاش من العمر نحو ثمان عشرة سنة، ووالدته ماتت في حدود العشرين تقريباً، ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في مثل ذلك الزمان، وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجياً ولا يعذب ويدخل الجنة؛ هذا مذهبنا لا خلاف بين أئمتنا الشافعية في الفقه والأشاعرة في الأصول، وقد نص على ذلك إمامنا الإمام الشافعي رضي اللَّه عنه في «الأم» و«المختصر» وتبعه سائر الأصحاب فلم يشذ أحد منهم بخلاف، واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وهذه مسألة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند أئمتنا الأشاعرة وهي قاعدة شكر المنعم وأنه واجب بالسمع لا بالعقل، وهذه القاعدة ـ أعني قاعدة شكر المنعم ـ مرجعها إلى قاعدة كلامية وهي قاعدة التحسين والتقبيح العقليين، وإنكارهما متفق عليه من الأشاعرة كما هو معروف في كتب الكلام والأصول، وقد أطنب الأئمة في تقرير هاتين القاعدتين والاستدلال عليهما، والجواب عن حجج المختلفين إطناباً عظيماً خصوصاً إمام الحرمين في «البرهان» والغزالي في «المستصفى» و«المنحول» والكيا الهراسي في «تعليقه»، والإمام فخر الدين الرازي في «المحصول» وابن السمعاني في «القواطع» والقاضي

أبو بكر الباقلاني في «التقريب» وغيرهم من أئمة لا يحصون كثرة؛ وترجع مسألة من لم تبلغه الدعوة إلى قاعدة ثانية أصولية وهي أن الغافل لا يكلف، وهذا هو المبحوث في الأصول، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

ثم اختلفت عبارات الأصحاب في من لم تبلغه الدعوة، فأحسنها من قال: إنه ناج، وإياها اختار السبكي، ومنهم من قال: على الفترة، ومنهم من قال: مسلم، وقال الغزالي: التحقيق أن يقال: في معنى المسلم. قد مشى على هذا السبيل في والدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قوم من العلماء فصرحوا بأنهما لم تبلغهما الدعوة، حكاه عنهم سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» وغيره ومشى عليه الأبي في «شرح مسلم»، وكان شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوي يعول عليه ويجيب به إذا سئل عنهما.

## السبيل الثاني

أنهما من أهل الفترة وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون إلى أن يمتحنوا يوم القيامة، فمن أطاع منهم دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وأحاديث الامتحان كثيرة والمصحح منها ثلاثة:

**الأول**: حديث عن الأسود بن سريع وأبي هريرة ـ رضي اللّه عنهما ـ معاً مرفوعاً أخرجه أحمد في مسنده، وصححه البيهقي في كتاب «الاعتقاد».

**والثاني**: حديث أبي هريرة موقوفاً وله حكم الرفع، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، أخرجه عبد الرزاق وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر في تفاسيرهم، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

**والثالث**: حديث ثوبان ـ رضي اللّه عنه ـ مرفوعاً أخرجه البزار والحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي على تصحيحه في «مختصره».

**وحديث رابع**: أخرجه البزار وابن أبي حاتم في «تفسيره» عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللّه عنه ـ مرفوعاً وابن أبي حاتم أيضاً عنه موقوفاً، وله حكم الرفع، وفي سنده عطية العوفي، وفيه ضعف إلا أن الترمذي يُحَسِّن حديثه خصوصاً إذا كان له شاهد، وهذا له عدة شواهد كما ترى.

**وحديث خامس**: أخرجه البزار وأبو يعلى من حديث أنس ـ رضي اللّه عنه ـ مرفوعاً، وسنده ضعيف.

**وحديث سادس**: أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن معاذ بن جبل ـ رضي اللّه عنه ـ مرفوعاً وسنده ضعيف.

والعمدة على الثلاثة الأول الصحيحة. وهذا السبيل نقل حافظ العصر أبو الفضل بن حجر عن بعضهم أنه مشى عليه فيما نحن فيه ثم قال: والظن بآبائه صلى اللّه عليه وآله وسلم كلهم الذين ماتوا في الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير قضية الامتحان أيضاً في والدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وسائر أهل الفترة وقال: إن منهم من يجيب، ومنهم من لا يجيب، إلا أنه لم يقل: إن الظن في الوالدين الشريفين أن يجيبا، ولا شك أن الظن بهما أن يوفقهما اللّه حينئذ للإجابة بشفاعة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كما رواه تمام الرازي في «فوائده» بسند ضعيف من حديث ابن عمر ـ رضي اللّه عنهما ـ أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي».

وأخرج الحاكم وصححه من حديث ابن مسعود ـ رضي اللّه عنه ـ أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم سئل عن أبويه فقال: ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام المحمود. فهذا تلويح بأنه يرتجي أن يشفع لهما في ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان.

وينضم إلى ذلك ما أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوة» وغيره عن عمران بن حصين ـ رضي اللّه عنهما ـ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطاني ذلك» ـ أورده المحب الطبري في كتابه «ذخائر العقبى». وما أخرجه ابن جرير في «تفسيره» عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، قال: من رضى محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضاً لأن الحديث الضعيف إذا كثرت طرقه أفاده ذلك قوة كما تقرر في علوم الحديث، وأمثلها حديث ابن مسعود ـ رضي اللّه عنه ـ فإن الحاكم قد صححه. وهذا السبيل قد يعد مغائراً للسبيل الأول كما مشيت عليه في هذا الكتاب، وفي الكتاب المطول، لأن مقتضى السبيل الأول الجزم بنجاة من لم تبلغه الدعوة ودخوله الجنة من غير توقف على الامتحان، وقد يعد مرادفاً له كما مشيت عليه في «مسالك الحنفاء» وفي «الدرج المنيفة» وفي «المقامة السندسية» وهو أقرب إلى التحقيق، ويكون معنى قولهم: إنه ناج ـ أي بشرط لا مطلقاً،

وقولهم: لا يعذب ـ أي ابتداء كما يعذب من عاند، بل يجري فيه الامتحان، ويكون امتحانه في الآخرة منزلاً منزلة بلوغه دعوة الرسل في الدنيا، ويكون عصيانه في الآخرة بمنزلة مخالفته للرسل، ويؤيد ذلك أن أبا هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ راوي حديث أهل الفترة استدل في آخره بالآية التي استدل بها الأئمة على انتفاء التعذيب قبل البعثة، ولفظه فيما أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر الثلاثة من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس، عن أبيه عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: إذا كان يوم القيامة جمع اللّه أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار فيقولون: كيف ولم تأتنا رسل قال: وأيم اللّه لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه؛ ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، ففهم أبو هريرة رضي اللّه تعالى عنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، من هو أعم من رسول الدنيا، والرسول المبعوث إليهم يوم القيامة أن ادخلوا النار ولا مستنكر مثل هذا الفهم العظيم من مثل أبي هريرة رضي اللّه عنه؛ وعلى هذين السبيلين فالجواب عن الأحاديث الواردة في الأبوين بما يخالف ذلك أنها وردت قبل ورود الآيات والأحاديث المشار إليها فيما تقدم، كما أجيب عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار قبل ورود قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وسائر الأحاديث المخالفة لتلك.

وقال بعض أئمة المالكية في الجواب عن تلك الأحاديث الواردة في الأبوين: إنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، ونحوها من الآيات في معناها.

قلت: مع ضميمة أن أكثرها ضعيف الإسناد والصحيح منها قابل للتأويل.

## السبيل الثالث

إن اللّه تعالى أحياهما له حتى آمنا به، وهذا السبيل مال إليه طائفة كثيرة من الأئمة وحفاظ الحديث، واستندوا إلى حديث ورد بذلك لكن إسناده ضعيف، وقد أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» وليس بموضوع؛ وقد نص ابن الصلاح في «علوم الحديث» وسائر من تبعه على أن ابن الجوزي تسامح في كتابه «الموضوعات» فأورد فيه أحاديث وحكم بوضعها وليست بموضوعة بل هي ضعيفة فقط، وربما تكون حسنة أو صحيحة.

قال الحافظ زين الدين العراقي في «الألفية»:

وأكثر الجامع فيه إذ خرج    لمطلق الضعف عني أبا الفرج

وقد ألف شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتاباً سماه «القول المسدد في الذب عن مسند أحمد». أورد فيه جملة من الأحاديث التي أوردها ابن الجوزي في «الموضوعات»، وهي في مسند أحمد ودرأ عنها أحسن الدرأ، ووهم ابن الجوزي في حكمه عليها بالوضع، وبين أن منها ما هو ضعيف فقط من غير أن يصل إلى حد الوضع، ومنها ما هو صحيح، وأبلغ من ذلك أن منها حديثاً مخرجاً في «صحيح مسلم» حتى قال شيخ الإسلام: هذه غفلة شديدة من ابن الجوزي حيث حكم على هذا الحديث بالوضع وهو في أحد الصحيحين ـ انتهى.

وسبقه إلى شيء من هذا التعقب شيخه حافظ عصره زين الدين العراقي، ورأيت في فهرست مصنفات شيخ الإسلام أنه شرع في تأليف تعقبات على موضوعات ابن الجوزي ولم أقف على هذا التأليف، وقد تتبعت أنا منه جملة من الأحاديث ليست بموضوعة فمنها ما هو في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومستدرك الحاكم وغيرها من الكتب المعتمدة، وبينت حال كل حديث منها ضعفاً وحسناً وصحة في تأليف حافل سمي «النكت البديعات على الموضوعات».

وهذا الحديث الذي نحن في ذكره، وهو حديث الإحياء خالف ابن الجوزي فيه كثير من الأئمة والحفاظ فذكروا أنه من قسم الضعيف الذي تجوز روايته في الفضائل والمناقب لا من قسم الموضوع، منهم الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، والحافظ أبو القاسم بن عساكر والحافظ أبو حفص بن شاهين، والحافظ أبو القاسم السهيلي، والإمام القرطبي، والحافظ محب الدين الطبري، والعلامة ناصر الدين بن المنير، والحافظ فتح الدين ابن سيد الناس، ونقله عن بعض أهل العلم ومشى عليه الصلاح في نظم له، والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في أبيات له فقال:

حبا الله النبي مزيد فضل    على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه    لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير    وإن كان الحديث به ضعيفا

وأخبرني بعض الفضلاء أنه وقف على فتيا بخط شيخ الإسلام ابن حجر أجاب فيها بهذا إلا أني لم أقف على ذلك وإنما وقفت على كلامه الذي قدمته في السبيل الثاني.

وقال السهيلي في أوائل «الروض الأنف» بعد إيراد حديث أنه صلى الله عليه

وآله وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما، ما نصه: والله قادر على كل شيء، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه عليه السلام أهل أن يختصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته، وقال في موضع آخر من الكتاب في حديث، أنه قال لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ: «لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك» ما نصه: في قوله: جد أبيك، ولم يقل: جدك ـ يعني أباه، تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه وآمنا به ـ انتهى مع أن الحديث الذي أورده السهيلي لم يذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» وإنما أورد ابن الجوزي حديثاً آخر من طريق آخر في إحياء أمه فقط. وفيه قصة بلفظ غير لفظ الحديث الذي أورده السهيلي فعلم أنه حديث آخر مستقل، وقد جعل هؤلاء الأئمة هذا الحديث ناسخاً للأحاديث الواردة بما يخالف ذلك ونصوا على أنه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها.

وقال القرطبي: فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله الله وأكرمه: قال: وليس إحياؤهما وإيمانهما به بممتنع عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال: وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته!

## السبيل الرابع

إنهما كانا على الحنيفية دين إبراهيم كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه في الجاهلية، وقد عقد ابن الجوزي في «التلقيح» باباً لتسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية، فأورد فيه جماعة منهم زيد المذكور وقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وأبو بكر الصديق وغيرهم؛ وقد مال إلى هذا السبيل الإمام فخر الدين الرازي وزاد أن آباءه صلى الله عليه وآله وسلم كلهم إلى آدم ـ عليه السلام ـ كانوا على التوحيد، قال في كتابه «أسرار التنزيل» ما نصه: قيل: إن آزر لم يكن والد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوه:

منها: أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً، ويدل عليه وجوه: منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ـ ٢١٩]، قيل: معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد، قال: وبهذا التقرير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ـ عليه السلام ـ ما كان من الكافرين؛ أقصى ما في الباب أن يحمل قوله

تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، على وجوه أخرى، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم عليه السلام ما كان من عبدة الأوثان.

ومما يدل على أن آباء محمد صلى اللّٰه عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات». وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]؛ فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً ـ هذا كلام الإمام بحروفه. وقد وجدت له أدلة قوية ما بين عام وخاص:

فالعام مركب من مقدمتين: إحداهما أنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن كل جد من أجداده صلى اللّٰه عليه وآله وسلم خير أهل قرنه كحديث البخاري: «بعثت من خير قرون بني آدم ـ عليه السلام ـ قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه».

والثانية أنه قد ثبت أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعداً يدفع اللّٰه بهم عن أهل الأرض، أخرج عبد الرزاق في «المصنف»، وابن المنذر في «التفسير» بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه قال: لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد والخلال في كرامات الأولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس ـ رضي اللّٰه عنهما ـ قال: ما خلت الأرض من بعد نوح ـ عليه السلام ـ من سبعة يدفع اللّٰه بهم عن أهل الأرض. وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج ما قاله الإمام، لأنه إن كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانه فهو المدعي، وإن كانوا غيرهم لزم أحد الأمرين: إما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح، وإما أن يكونوا خيراً وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع، وفي التنزيل ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١] فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الأرض كل في زمانه.

وأما الخاص فأخرج ابن سعد في «الطبقات» عن ابن عباس ـ رضي اللّٰه عنهما ـ قال: ما بين نوح إلى آدم ـ عليهما السلام ـ من الآباء كانوا على الإسلام. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، وابن المنذر، والبزار في «مسنده» والحاكم في «المستدرك» وصححه عن ابن عباس ـ رضي اللّٰه عنهما ـ قال: كان بين آدم ونوح ـ عليهما السلام ـ عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث اللّٰه النبيين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد اللّٰه ـ رضي اللّٰه عنه ـ «**كان الناس أمة واحدة فاختلفوا**».

وفي التنزيل حكاية عن نوح عليه السلام ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨]، وسام بن نوح مؤمن بنص القرآن والإجماع بل ورد في أثر أنه نبي، وولده أرفخشد صرح بإيمانه في أثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أخرجه ابن عبد الحكم في «تاريخ مصر» وفيه: أدرك جده نوحاً - عليه السلام - ودعا له أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده.

وروى ابن سعد في «الطبقات» من طريق الكلبي: أن الناس ما زالوا ببابل وهم على الإسلام من عهد نوح - عليه السلام - إلى أن ملكهم نمرود فدعاهم إلى عبادة الأوثان، وفي عهد نمرود كان إبراهيم عليه السلام وآزر.

وأما ذرية إبراهيم عليه السلام فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ قالا: لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم - عليه السلام.

وأخرج عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، قال: شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد، لا يزال في ذريته من يقولها من بعده، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

أخرج ابن جرير عن مجاهد في الآية: فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل: هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام؟ قال: لا، ألم تسمع قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، قيل: فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم؟ قال: لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا إذ أسكنهم إياه فقال: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾، ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، فيه، وقد خص أهله وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: ٤٠]، قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله.

وقد صحت الأحاديث في البخاري وغيره وتضافرت نصوص العلماء بأن

العرب من عهد إبراهيم وهم على دينه لم يكفر أحد منهم إلى عهد عمرو بن عامر الخزاعي، وهو الذي يقال له: عمرو بن لحي، وهو أول من عبد الأصنام وغير دين إبراهيم عليه السلام.

قال الشهرستاني في «الملل والنحل»: كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد شائعاً في صدر العرب وأول من غيره ووضع عبادة الأصنام عمرو بن لحي.

وقال السهيلي في «الروض الأنف»: كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة وقد جعلته العرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة.

قال: وقد ذكر ابن إسحاق أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها، وكانت التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي فبينا هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكاً هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال: وما هذا؟ فقال الشيخ: تملكه وما يملك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو فدانت بها العرب؛ وكان عمرو بن لحي قريباً من زمن كنانة جد النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وقد أخرج ابن حبيب في «تاريخه» عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير.

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» من مرسل عبد اللّه بن خالد قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم.

وقال السهيلي في «الروض الأنف» في الحديث المروي «لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين» ذكره الزبير بن بكار قال: ويذكر عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تسبوا إلياس ـ عليه السلام ـ فإنه كان مؤمناً». وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بالحج؛ قال: وكعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة، وقيل: هو أول من سماها الجمعة، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد في هذا أبياتاً منها قوله:

**شعر**

يا ليتني شاهد نجواء دعوته إذا قريش تبغي الحق خذلانا

قال: وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب «الأعلام» له؛ قلت: وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» فتلخص من مجموع ما سقناه أن أجداده صلى اللّه عليه وآله وسلم من آدم ـ عليه السلام ـ إلى كعب بن لؤي وولده مرة مصرح بإيمانهم إلا آزر فإنه مختلف فيه، فإن كان والد إبراهيم فإنه يستثنى، وإن كان عمه كما هو أحد القولين فيه فهو خارج عن الأجداد وسلمت سلسلة النسب؛ وبقي ما بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل، وعبد المطلب فيه خلاف.

قال السهيلي في «الروض الأنف» في حديث الصحيح (حين قال أبو جهل وابن أبي أمية لأبي طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال هو: على ملة عبد المطلب): ظاهر هذا الحديث يقتضي أن عبد المطلب مات على الشرك، قال: ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافاً في عبد المطلب وأنه قد قيل فيه: مات مسلماً لما رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد ـ فاللّه أعلم، هذا كلام السهيلي، والأشبه فيه أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث الذي في البخاري.

وقد ذكر الحليمي في «شعب الإيمان» حديث مسلم إن في أمتي أربعاً ليسوا بتاركيهن: الفخر في الأحساب ـ الحديث؛ وقال عقبة: فإن عورض هذا بحديث النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في اصطفاء بني كنانة وقريش وبني هاشم، فالجواب أنه لم يرد بذلك الفخر، إنما أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم، كرجل يقول: كان أبي فقيهاً لا يريد به الفخر وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه؛ قال: وقد يكون أراد به الإشارة بنعمة اللّه عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء ـ انتهى كلام الحليمي.

ونقله البيهقي عنه في «شعب الإيمان» وأقره، وقد أشار إلى هذا الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي فقال:

تنقل أحمد نوراً عظيماً ... تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرناً ... إلى أن جاء خير المرسلينا

ومما يستأنس به في حق والدة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ما أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» بسند ضعيف من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ غلام بلغته خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

## شعر

بارك فيك الله من غلام يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام فالله أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة، وذكري باق، وقد تركت خيراً وولدت طهراً، ثم ماتت ـ الحديث.

# خاتمة

ثم إني لم أدع أن المسألة إجماعية بل هي مسألة ذات خلاف غير أني اخترت أقوال القائلين بالنجاة لأنه أنسب بهذا المقام، وقد نقلت من مجموع بخط الشيخ كمال الدين الشمني والد شيخنا ما نصه: سئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن أب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار، فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ـ الآية، قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه: إنه في النار.

وقال السهيلي في «الروض الأنف» بعد ذكره الحديث الذي في مسلم ما نصه: وليس لنا نحن أن نقول هذا في أبويه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات! والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ـ الآية، قال: وقد روى معمر بن راشد الحديث الذي في مسلم بغير هذا اللفظ وروي حديث غريب لعله يصح ـ ثم ذكر الحديث في إحيائهما.

وذكر القاضي عياض في «الشفاء» أن عمر بن عبد العزيز ذكر كاتبه في هذا المقام لفظة كذا فعزله وقال: لا تكتب لي أبداً! والأثر في «الحلية» لأبي نعيم وفي «ذم الكلام» للهروي وفيه: أن عمر لما سمعه قال ذلك غضب غضباً شديداً وعزله عن الدواوين ـ والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

هذا آخر كتاب «السبل الجلية في الآباء العلية» تأليف الإمام مفتي المسلمين خاتم المحدثين الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى.

وفي الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. وصلى الله على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

# إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء عليهم السلام

الحمد للَّه وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وقع السؤال أنه قد اشتهر أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم حي في قبره، وورد أنه صلى اللَّه تعالى عليه وعلى آله وسلم قال: «ما من أحد يسلّم عليّ إلا رد اللَّه عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام»، فظاهره أن مفارقة الروح له في بعض الأوقات، فكيف الجمع؟ وهو سؤال حسن يحتاج إلى النظر والتأمل، فأقول: حياة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك، وقد ألف الإمام البيهقي رحمه اللَّه جزءاً في حياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم.

فمن الأخبار الدالة على ذلك:

ما أخرجه مسلم عن أنس رضي اللَّه تعالى عنه أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ليلة أسري به مرّ بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم مرّ بقبر موسى عليه السلام وهو قائم يصلي فيه.

وأخرج أبو يعلى في «مسنده» والبيهقي في كتاب «حياة الأنبياء» عن أنس رضي اللَّه تعالى عنه أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن يوسف بن عطية قال: سمعت ثابت البناني رحمه اللَّه يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا.

وأخرج أبو داود والبيهقي عن أوس بن أوس الثقفي رضي اللَّه تعالى عنه عن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم أنه قال: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليَّ الصلاة فيه، فإن صلاتكم تعرض عليّ، قالوا: يا رسول اللَّه وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ـ يعني بليت ـ فقال: إن اللَّه حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان» والأصبهاني في «الترغيب»، عن أبي هريرة رضي اللّٰه تعالى عنه قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم: «من صلى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليَّ غائباً بلغته».

وأخرج البخاري في «تاريخه» عن عمار رضي اللّٰه عنه: سمعت النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم يقول: «إن للّٰه تعالى ملكاً أعطاه أسماع الخلائق قائم على قبري، فما من أحد يصلي عليَّ صلاة إلا بلغنيها».

وأخرج البيهقي في «حياة الأنبياء» والأصبهاني في «الترغيب» عن أنس رضي اللّٰه تعالى عنه قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم: «من صلى عليَّ مائة في الجمعة وليلة الجمعة قضي له مائة حاجة: سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم وكل اللّٰه بذلك ملكاً يدخله عليَّ في قبري كما يدخل عليكم الهدايا: إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة». ولفظ البيهقي: يخبرني من صلى عليَّ باسمه ونسبه فأثبته عندي في صحيفة بيضاء.

وأخرج البيهقي عن أنس ـ رضي اللّٰه عنه ـ أن النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم قال: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي اللّٰه سبحانه وتعالى حتى ينفخ في الصور». وروى سفيان الثوري في الجامع قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال: ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع.

قال البيهقي: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء، يكونون حيث ينزلهم اللّٰه تعالى، ثم قال البيهقي: ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد ـ فذكر قصة الإسراء في لقيه جماعة من الأنبياء عليهم السلام وكلمهم وكلموه.

وأخرج حديث أبي هريرة في الإسراء وفيه: وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي وإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة! وإذا عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ قائم يصلي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم».

وأخرج حديث: «إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق»، وقال: هذا يدل أيضاً على أن اللّٰه رد على الأنبياء أرواحهم وهم أحياء عند ربهم كالشهداء، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن صعقوا؛ ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار ـ انتهى.

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه: سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه

عليه وآله وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لينزلن عيسى ابن مريم: عليهما السلام ـ ثم لأن قام على قبري فقال: يا محمد لأجبته».

وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن سعيد بن المسيب قال: لقد رأيتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم غيري، وما يأتي وقت صلاة إلا وسمعت الأذان من القبر.

وأخرج الزبير بن بكار في «أخبار المدينة» عن سعيد بن المسيب قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أيام الحرة حتى عاد الناس.

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» عن سعيد بن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة والناس يقتلون، قال: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قبل القبر الشريف.

وأخرج الدارمي في «مسنده» قال: أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ولم يقم، وإن سعيد بن المسيب لم يبرح مقيماً في المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم.

فهذه الأخبار دالة على حياة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء.

قد قال اللّه تعالى في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، والأنبياء أولى بذلك، فهم أجل وأعظم، وقلّ نبي إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة فيدخلون في عموم لفظ الآية.

وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «دلائل النبوة» عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: لأن أحلف تسعاً أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحداً أنه لم يقتل، وذلك أن اللّه اتخذه نبياً واتخذه شهيداً.

وأخرج البخاري والبيهقي عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: كان النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول في مرضه الذي توفي فيه: «لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم».

فثبت كونه صلى اللّه عليه وآله وسلم حياً في قبره بنص القرآن إما من عموم اللفظ، وإما من مفهوم الموافقة، قال البيهقي في كتاب «الاعتقاد»: الأنبياء بعدما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء.

وقال القرطبي في «التذكرة»، في حديث الصعقة نقلاً عن شيخه: الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا؛ وإذا كان في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى.

وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه صلى اللّه عليه وآله وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء، وقد رأى موسى قائماً يصلي في قبره، وأخبر صلى اللّه عليه وآله وسلم بأنه يرد السلام على كل من يسلّم عليه - إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه اللّه بكرامته من أوليائه - انتهى.

سئل البارزي عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: هل هو حي بعد وفاته؟ فأجاب أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم حي.

قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الفقيه الأصولي شيخ الشافعية في أجوبة مسائل إنجاز مبين: قال المتكلمون المحققون من أصحابنا: إن نبينا صلى اللّه عليه وآله وسلم حي بعد وفاته، وإنه يبشر بطاعات أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وإنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته؛ وقال: إن الأنبياء لا يبلون، ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وقد مات موسى - عليه السلام - في زمانه وأخبر نبينا صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه رآه في قبره مصلياً، وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة، وأنه رأى آدم - عليه السلام - في السماء الدنيا، ورأى إبراهيم - عليه السلام - وقال له: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا: نبينا عليه الصلاة والسلام قد صار حياً بعد وفاته، وهو على نبوته، - وهذا آخر كلام الأستاذ.

وقال الحافظ شيخ السنة أبو بكر البيهقي في كتاب «الاعتقاد»: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعدما قبضوا ردت أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا صلى اللّه عليه وآله وسلم جماعة منهم وأمَّهم في صلاة، وأخبر - وخبره صدق - أن صلاتنا معروضة عليه، وأن سلامنا يبلغه، وأن اللّه تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء؛ قال: وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتاباً، قال: وهو بعدما قبض نبي اللّه ورسوله وصفيه وخيرته من خلقه صلى اللّه عليه وآله وسلم. اللهم! أحينا على سنته، وأمتنا على ملته، واجمع

بيننا وبينه في الدنيا والآخرة! إنك على كل شيء قدير ـ انتهى جواب البارزي.

وقال الشيخ عفيف الدين اليافعي: الأولياء يرد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم إلى موسى عليه السلام في قبره، قال: وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي؛ قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهل. ونصوص العلماء في حياة الأنبياء عليهم السلام كثيرة فلنكتف بهذا القدر.

## فصل

وأما الحديث الآخر فأخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود في «سننه» والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق أبي عبد الرحمن المقرىء عن حيوة بن شريح عن أبي صخر عن يزيد بن عبد اللّه بن قسيط عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد اللّه عليّ روحي حتى أرد عليه السلام»، ولا شك أن ظاهر هذا الحديث مفارقة الروح لبدنه الشريف في بعض الأوقات، وهو مخالف للأحاديث السابقة، وقد تأملته ففتح عليّ في الجواب عدة أجوبة.

**الأول**: وهو أضعفها ـ أن الراوي وهم في لفظة من الحديث حصل بسببها الإشكال، وقد ادعى ذلك العلماء في أحاديث كثيرة لكن الأصل خلاف ذلك، فلا يعول على هذه الدعوى.

**الثاني**: وهو أقواها ولا يدركه إلا ذو باع في العربية ـ أن قوله: رد اللّه جملة حالية وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلاً ماضياً قدرت فيها قد، كقوله تعالى: ﴿ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء: ٩٠] ـ أي قد حصرت وكذا هنا تقدر، والجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد وحتى، ليست للتعليل، بل هو مجرد حرف عطف بمعنى الواو، فصار تقدير الحديث: ما من أحد يسلم عليّ إلا قد رد اللّه عليّ روحي قبل ذلك وأردّ عليه: وإنما جاء الإشكال من ظن أن جملة رد اللّه، بمعنى الحال أو الاستقبال، وظن أن حتى، تعليلية وليس كذلك وبهذا الذي قررناه ارتفع الإشكال من أصله، وأيده من حيث المعنى أن الرد لو أخذ بمعنى الحال أو الاستقبال لزم تكرره عند تكرار المسلمين السلام، وتكرار الرد يستلزم تكرار المفارقة، وتكرار المفارقة يلزم عليه محذوران:

**أحدهما**: تألم الجسد الشريف بتكرار خروج الروح منه، أو نوع ما يخالفه التكريم إن لم يكن تأليم.

**والآخر**: يخالفه شأن الشهداء وغيرهم، فإنه لم يثبت لأحد منهم أن يتكرر له مفارقة الروح وعودها في البرزخ، والنبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم أولى بالاستمرار الذي هو أعلى رتبة.

ومحذور ثالث وهو مخالفة القرآن، فإنه دل على أنه ليس إلا موتتان وحياتان، وهذا التكرار يستلزم موتات كثيرة وهو باطل.

ومحذور رابع وهو مخالفة الأحاديث المتواترة السابقة، وما خالف القرآن والمتواتر من السنة وجب تأويله، وإن لم يقبل التأويل كان باطلاً، لهذا وجب حمل الحديث على ما ذكرناه.

**الوجه الثالث** أن يقال: إن لفظ الرد، قد لا يدل على المفارقة بل كنى به عن مطلق الصيرورة، كما قيل في قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ [الأعراف: ٨٩]، إن لفظ «العود» أريد به مطلق الصيرورة لا العود بعد الانتقال، لأن شعيباً عليه السلام لم يكن في ملتهم قط، وحسن استعمال هذا اللفظ في هذا الحديث مراعاة للمناسبة اللفظية بينه وبين قوله: حتى أردّ عليه السلام، فجاء لفظ «الرد»، في صدر الحديث لمناسبة ذكره في آخر الحديث.

**الوجه الرابع**: وهو قوي جداً ـ إنه ليس المراد بردّ الروح عودها بعد مفارقة البدن، وإنما النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم في البرزخ مشغول بأحوال الملكوت مستغرق في مشاهدة ربه، كما كان في الدنيا في حالة الوحي، وفي أوقات أخر، فعبر عن إفاقته من تلك المشاهدة وذلك الاستغراق بردّ الروح، ونظير هذا قول العلماء في اللفظة التي وقعت في بعض أحاديث الإسراء وهي قوله: «فاستيقظت وإذا بالمسجد الحرام» ليس المراد الاستيقاظ من نوم فإن الإسراء لم يكن مناماً وإنما المراد الإفاقة مما خامره من عجائب الملكوت؛ وهذا الجواب الآن عندي أقوى ما يجاب به عن لفظة الرد، وقد كنت رجحت الثاني، ثم قوي عندي هذا.

**الوجه الخامس**: أن يقال: إن الرد يستلزم الاستمرار له، لأن الزمان لا يخلو من مصل عليه في أقطار الأرض، فلا يخلو من كون الروح في بدنه.

**والوجه السادس**: قد يقال: إنه أوحي إليه هذا الأمر أولاً قبل أن يوحى إليه بأنه لا يزال حياً في قبره فأخبر به، ثم أوحي إليه بعد ذلك، فلا منافاة لتأخر الخبر الثاني عن الخبر الأول.

هذا ما فتح اللّٰه تعالى لي من الأجوبة، ولم أر شيئاً منها منقولاً لأحد، ثم بعد

كتابتي لذلك راجعت كتاب «الفخر المنير فيما فضل به البشير النذير» للشيخ تاج الدين ابن الفاكهاني المالكي فوجدته قال فيه ما نصه: روينا في الترمذي قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «ما من أحد يسلم عليّ إلّا ردّ اللَّه عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام». يؤخذ من هذا الحديث أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم حي على الدوام، وذلك أنه محال عادة أن يخلو وجود كل زمان من واحد مسلّم على النبي صلى اللَّه عليه وآله وصحبه وسلم ليلاً ونهاراً.

فإن قلت: قوله عليه الصلاة والسلام: ردّ اللَّه عليَّ روحي، لا يلتئم مع كونه حياً على الدوام، بل يلزم منه أن يتعدد حياته ومماته في أقل من ساعة، إذ الوجود لا يخلو من مسلم يسلم عليه كما تقدم، بل يتعدد السلام عليه في الساعة الواحدة كثيراً.

فالجواب ـ واللَّه أعلم ـ أن يقال: المراد بالروح هنا النطق مجازاً، فكأنه قال عليه الصلاة والسلام: إلا رد اللَّه إليّ نطقي، وهو حي على الدوام لكن لا يلزم من حياته نطقه، واللَّه سبحانه يردّ عليه النطق عند سلام كل مسلّم؛ وعلامة المجاز أن النطق من لوازم وجود الروح، كما أن الروح من لازمة وجود النطق بالفعل أو القوة، فعبر عليه السلام بأحد المتلازمين عن الآخر.

وربما تحقق ذلك أن عود الروح لا يكون إلا مرتين عملاً بقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] ـ هذا لفظ كلام الشيخ تاج الدين.

وهذا الذي ذكره من الجواب ليس واحداً من الستة التي ذكرتها، وهو إن سلم فجواب سابع، وعندي فيه وقفة من حيث أن ظاهره أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم مع كونه حياً في البرزخ يمنع عنه النطق في بعض الأوقات ويردّ عند سلام المسلّم عليه، وهذا بعيد جداً، بل ممنوع فإن العقل والنقل يشهدان بخلافه:

أما النقل فالأخبار الواردة عن حاله صلى اللَّه عليه وآله وسلم وحال الأنبياء عليهم السلام في البرزخ مصرحة بأنهم ينطقون كيف شاؤوا ولا يمنعون من شيء، بل وسائر المؤمنين وكذلك الشهداء وغيرهم ينطقون في البرزخ بما شاؤوا غير ممنوعين من شيء، ولم يرو أن أحداً يمنع من النطق في البرزخ إلا من مات من غير وصية:

روى أبو الشيخ في كتاب «الوصايا» عن قيس بن قبيصة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى قيل: يا رسول اللَّه وهل يتكلم الموتى؟ قال: نعم، ويتزاورون».

وقال الشيخ تقي الدين السبكي: حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا، ويشهد له صلاة موسى - عليه السلام - في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب، وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى - انتهى.

وأما العقل فلأن الحبس عن النطق في بعض الأوقات نوع حصر وتعذيب ولهذا عذب به تارك الوصية، والنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم منزه عن ذلك، فلا يلحقه بعد وفاته حصر أصلاً بوجه من الوجوه، كما قال لفاطمة رضي اللّه تعالى عنها في مرض وفاته: «لا كربة على أبيك بعد اليوم».

وإذا كان الشهداء وسائر المؤمنين من أمته إلا من استثنى من المعذبين لا يحصرون بالمنع من النطق، فكيف به صلى اللّه عليه وآله وسلم؟ نعم، يمكن أن ينزع من كلام الشيخ تاج الدين جواب آخر ويقرر بطريق أخرى، وهو أن يراد بالروح النطق وبالرد الاستمرار من غير مفارقة على ما قررته في الوجه الثالث، ويكون في الحديث على هذا مجازان: مجاز في لفظ الرد، ومجاز في لفظ الروح، فالأولى استعارة تبعية والثاني مجاز مرسل؛ وعلى ما قررته في الوجه الثالث يكون فيه مجاز واحد في الرد فقط.

ويتولد من هذا الجواب جواب آخر، وهو أن يكون الروح كناية عن السمع ويكون المراد أن اللّه تعالى يرد عليه سمعه الخارق للعادة بحيث يسمع سلام المسلّم، وإن بعد قطره ويرد عليه من غير احتياج إلى واسطة مبلغ، وليس المراد سمعه المعتاد، وكان له صلى اللّه عليه وآله وسلم في الدنيا حالة يسمع فيها سمعاً خارقاً للعادة، بحيث كان يسمع أطيط السماء كما بينت ذلك في كتاب «المعجزات»، وهذا قد ينفك في بعض الأوقات ويعود ولا مانع منه، وحالته صلى اللّه عليه وآله وسلم في البرزخ كحالته في الدنيا سواء.

وقد يخرج من هذا جواب آخر، وهو أن المراد سمعه المعتاد، ويكون المراد بردّه إفاقته من الاستغراق الملكوتي، وما هو فيه من المشاهدة، فيردّه اللّه تعالى تلك الساعة إلى خطاب من يسلّم عليه في الدنيا، فإذا فرغ من الردّ عليه عاد إلى ما كان فيه.

ويخرج من هذا جواب آخر، وهو أن المراد بردّ الروح التفرغ من الشغل

وفراغ البال مما هو بصدده في البرزخ من النظر في أعمال أمته، والاستغفار لهم من السيئات، والدعاء بكشف البلاء عنهم، والتردد في أقطار الأرض لحلول البركة فيها، وحضور جنازة من مات من صالحي أمته، فإن هذه الأمور من جملة أشغاله في البرزخ كما وردت بذلك الأحاديث والآثار، فلما كان السلام عليه من أفضل الأعمال وأجل القربات اختص المسلّم عليه بأن يفرغ له من أشغاله المهمة لحظة يردّ عليه فيها تشريفاً له ومجازاة. فهذه عشرة أجوبة كلها من استنباطي، وقد قال الجاحظ: إذا نكح الفكر الحفظ ولد العجائب.

ثم ظهر لي جواب حادي عشر، وهو أنه ليس المراد بالروح روح الحياة بل الارتياح كما في قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩]، فإنه قرىء فرُوح ـ بضم الراء، والمراد أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم يحصل له بسلام المسلّم عليه ارتياح وفرح وبشاشة لحبه صلى اللّه عليه وآله وسلم لذلك فيحمله ذلك على أن يردّ عليه.

ثم ظهر لي جواب ثاني عشر، وهو أن المراد بالروح الرحمة الحادثة من ثواب الصلاة، وقال ابن الأثير في «النهاية»: تكرر ذكر الروح في الحديث كما تكرر في القرآن ووردت فيها على معان فالغالب منها أن المراد بالروح الذي يقوم به الجسد، وقد أطلق على القرآن والوحي والرحمة وعلى جبريل ـ انتهى.

وأخرج ابن المنذر في «تفسيره» عن الحسن البصري رحمة اللّه عليه أنه قرأ عليه قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ ـ بالضم، وقال: الروح الرحمة، وقد تقدم عنه صلى اللّه عليه وآله وسلم في حديث أنس رضي اللّه عنه أن الصلاة تدخل عليه صلى اللّه عليه وآله وسلم في قبره كما يبلغ لكم الهدايا والثواب، والمراد ثواب الصلاة وذلك رحمة اللّه وإنعاماته.

ثم ظهر لي جواب آخر ثالث عشر، وهو أن المراد بالروح الملك الذي وكل بقبره صلى اللّه عليه وآله وسلم يبلغه السلام، والروح يطلق على جبريل أيضاً من الملائكة، قال الراغب: أشراف الملائكة تسمى أرواحاً ـ انتهى؛ ومعنى ردّ اللّه إليّ روحي، أي بعث إليّ الملك الموكّل يبلغني السلام؛ هذا غاية ما ظهر لي واللّه أعلم ـ انتهى.

## تنبيه

وقع في كلام الشيخ تاج الدين أمران يحتاجان إلى التنبيه عليهما: أحدهما: أنه عزا الحديث إلى الترمذي وهو غلط، فلم يخرجه من أصحاب الكتب الستة إلا أبو داود فقط كما ذكره الحافظ جمال الدين المزي في «الأطراف». الثاني: أنه أورد

الحديث بلفظ «ردّ اللّه عليّ» وهو كذلك في «سنن أبي داود»، ولفظ رواية البيهقي «ردّ اللّه إليّ»، وهو ألطف وأنسب، فإن بين التعديتين فرقاً لطيفاً، فإن رد، يعدى بعلى في الإهانة وبإلى في الإكرام، قال في «الصحاح»: ردّ عليه الشيء إذا لم يقبله، وكذا ردّ عليه إذا أخطأه، ويقال: رده إلى منزله ورد إليه جواباً أي رجع.

وقال الراغب: من الأول قوله تعالى: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، و ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ [ص: ٣٣] ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ [الأنعام: ٧١]، ومن الثاني: ﴿فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ [القصص: ١٣] ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الجمعة: ٨] ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

## فصل

قال الراغب: من معاني الرد التفويض، يقال: رددت الحكم في كذا إلى فلان أي فوضته إليه، قال اللّه تعالى: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] - انتهى.

ويخرج من هذا جواب رابع عشر عن الحديث، وهو أن المراد فوض اللّه إليّ رد السلام عليه على أن المراد بالروح الرحمة والصلاة من اللّه رحمة، وكأن المسلم بسلامه تعرض لطلب صلاة من اللّه تحقيقاً لقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: «من صلى عليّ واحدة صلى اللّه عليه عشراً». والصلاة من اللّه رحمة، ففوض اللّه أمر هذه الرحمة إلى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ليدعو به المسلم فيحصل إجابته قطعاً، فتكون الرحمة الحاصلة للمسلم إنما هي بركة دعاء النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وسلامه عليه، وينزل ذلك منزلة الشفاعة في قبول سلام المسلم والإثابة عليه، وتكون الإضافة في روحي لمجرد الملابسة، ونظيره قوله في حديث الشفاعة: فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ينتهى إلى محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وفي حديث الإسراء: لقيني ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا في أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى.

والحاصل أن معنى الحديث على هذا الوجه إلا فوض اللّه إليّ أمر الرحمة التي تحصل للمسلم بسببي، فأتولى الدعاء بها بنفسي بأن أنطق بلفظ السلام على وجه الرد عليه في مقابلة سلامه والدعاء به.

ثم ظهر لي جواب خامس عشر، وهو أن المراد بالروح الرحمة التي في قلب

النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم على أمته والرأفة التي جبل عليها، وقد يغضب في بعض الأحيان على من عظمت ذنوبه وانتهك محارم اللَّه تعالى، والصلاة على النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم سبب لمغفرة الذنوب، كما ورد في الحديث: «إذاً يكفى همك ويغفر ذنبك»، فأخبر صلى اللَّه عليه وآله وسلم أنه ما من أحد يسلّم عليه وإن بلغت ذنوبه ما بلغت إلا رجعت إليه الرحمة التي جبل عليها حتى يرد عليه السلام بنفسه، ولا يمنعه من الرد عليه ما كان منه قبل ذلك من ذنب.

وهذه فائدة نفيسة وبشرى عظيمة، وتكون هذه فائدة زيادة من الاستغراقية في حد النفي الذي هو ظاهر في الاستغراق، فزيادتها نص فيه بعد زيادتها بحيث انتفى بسببها أن يكون العام المراد به الخصوص.

هذا آخر ما فتح اللَّه تعالى به الآن من الأجوبة، وإن فتح بعد ذلك بزيادة ألحقناها ـ واللَّه الموفق.

ثم بعد ذلك رأيت الحديث المسؤول عنه مخرّجاً في كتاب «حياة الأنبياء» للبيهقي بلفظ: «إلّا وقد ردّ اللَّه عليّ روحي» فصرح فيه بلفظ وقد، فحمدت اللَّه كثيراً وقوي أن رواية إسقاطها محمولة على إضمارها وإن حذفها تصرف الرواة، وهو الأمر الذي جنحت إليه في الوجه الثاني من الأجوبة، وقد عرف الآن ترجيحه لوجود هذه الرواية، فهو أقوى الأجوبة. ومراد الحديث عليه الإخبار بأن اللَّه تعالى يرد إليه روحه بعد الموت على الدوام فيصير حياً على الدوام حتى لو سلّم عليه أحد ردّ عليه السلام لوجود الحياة فيه، فصار الحديث موافقاً للأحاديث الواردة في حياته في قبره وواحداً من جملتها لا منافي لها البتة بوجه من الوجوه ـ وللَّه الحمد والمنة.

وقد قال بعض الحفاظ: لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً لما عقلناه، وذلك لأن الطرق يزيد بعضها على بعض تارة في ألفاظ المتن وتارة في الإسناد، فيكشف من الطريق المزيدة ما خفي في الطريق الناقصة ـ واللَّه أعلم.

وقد تم كتاب «إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء»، والحمد للَّه وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته رضوان اللَّه تعالى عليهم أجمعين. والحمد للَّه رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة رضي اللّه عنه

الحمد للّه وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى؛ هذا جزء ألفته في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي اللّه عنه، سميته بتبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة.

## ذكر أصله

قال الخطيب في تاريخه: أنبأنا القاضي أبو عبد اللّه الحسين بن علي الصيمري أنبأنا عمر بن إبراهيم المقرىء، ثنا مكرم بن حنبل بن أحمد القاضي، ثنا أحمد بن عبد اللّه بن شاذان المروزي، حدثني أبي عن جدي: سمعت إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس الأحرار، واللّه ما وقع علينا رق قط، ولد جدي في سنة ثمانين؛ وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو من اللّه أن يكون قد استجاب اللّه تعالى ذلك لعلي بن أبي طالب فينا، والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب الفالوذج في يوم النيروز. فقال: نورزوا لنا كل يوم.

## ذكر تبشير النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم به

قد ذكر الأئمة أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بشر بالإمام مالك في حديث «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة»، وبشر بالإمام الشافعي في حديث «لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرض علماً» أقول: قد بشّر صلى اللّه عليه وآله وسلم بالإمام أبي حنيفة في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لو كان العلم بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس».

وأخرج الشيرازي في «الألقاب» عن قيس بن سعد بن عبادة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس»، وحديث أبي هريرة أصله في صحيحي البخاري ومسلم بلفظ «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من فارس» وفي لفظ لمسلم: «لو كان الإيمان عند الثريا لذهب به رجل من أبناء فارس حتى يتناوله» وحديث قيس بن سعد في «معجم الطبراني» بلفظ: «لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لا تناله العرب لناله رجال فارس» وفي «معجم الطبراني» أيضاً عن ابن مسعود ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لو كان الدين معلقاً بالثريا لتناوله ناس من أبناء فارس». فهذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة والفضيلة نظير الحديثين اللذين في الإمامين ويستغنى به عن الخبر الموضوع.

## ذكر من أدركه من الصحابة رضي اللّه عنهم

وقد ألف الإمام أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المقرىء الشافعي جزءاً فيما رواه الإمام أبو حنيفة عن الصحابة ذكر فيه: قال أبو حنيفة: لقيت من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم سبعة وهم: (١) أنس بن مالك و(٢) عبد اللّه بن جزء الزبيدي و(٣) جابر بن عبد اللّه و(٤) معقل بن يسار و(٥) واثلة بن الأسقع و(٦) عائشة بنت عجرد رضي اللّه عنهم، ثم روى له عن أنس ثلاثة أحاديث، وعن ابن جزء حديثاً، وعن واثلة حديثين، وعن جابر حديثاً، وعن عبد اللّه بن أنيس حديثاً، وعن عائشة بنت عجرد حديثاً؛ وروى له أيضاً عن عبد اللّه بن أبي أوفى ـ رضي اللّه عنه ـ حديثاً، والأحاديث التي أوردها كلها واردة من غير هذا الطريق. لكن قال حمزة السهمي: سمعت الدارقطني يقول: لم يلق أبو حنيفة أحداً من الصحابة إلا أنه رأى أنساً بعينه ولم يسمع منه، وقال الخطيب: لا يصح لأبي حنيفة سماع من أنس.

ووقفت على فتيا رفعت إلى الشيخ ولي الدين العراقي صورتها: هل روى أبو حنيفة عن أحد من أصحاب النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم؟ وهل يعد هو في التابعين أم لا؟ فأجاب بما نصه: الإمام أبو حنيفة لم يصح له رواية عن أحد من الصحابة وقد رأى أنس بن مالك، فمن يكتف في التابعي بمجرد رؤية الصحابي يجعله تابعياً، ومن لا يكتفي بذلك لا يعده تابعياً.

ورفع هذا السؤال إلى الحافظ ابن حجر فأجاب بما نصه: أدرك الإمام أبو

حنيفة جماعة من الصحابة، لأنه ولد بمكة سنة ثمانين من الهجرة وبها يومئذ من الصحابة عبد اللّه بن أبي أوفى - رضي اللّه عنه - فإنه مات بعد ذلك بالاتفاق، وبالبصرة يومئذ أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - ومات سنة تسعين أو بعدها، وقد أورد ابن سعد بسند لا بأس به أن أبا حنيفة رأى أنساً؛ وكان غير هذين في الصحابة بعده من البلاد أحياء. وقد جمع بعضهم جزءاً فيما ورد من رواية أبي حنيفة عن الصحابة لكن لا يخلو إسنادها هنا من ضعف، والمعتمد على إدراكه ما تقدم على رؤيته لبعض الصحابة ما أورده ابن سعد في «الطبقات»، فهو بهذا الاعتبار من طبقة التابعين، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له كالأوزاعي بالشام والحمادين بالبصرة والثوري بالكوفة ومالك بالمدينة ومسلم بن خالد الزنجي بمكة والليث بن سعد بمصر؛ واللّه أعلم - هذا آخر ما ذكره الحافظ ابن حجر.

وحاصل ما ذكره هو وغيره الحكم على أسانيد ذلك بالضعف وعدم الصحة لا بالبطلان، وحينئذ فسهل الأمر في إيرادها، لأن الضعيف يجوز روايته ويطلق عليه أنه وارد كما صرحوا، فلنوردها ونتكلم عليها حديثاً حديثاً:

قال أبو معشر في جزئه: أنا أبو عبد اللّه الحسين بن محمد بن منصور الفقيه الواعظ، ثنا أبو إبراهيم أحمد بن الحسن القاضي، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن حمدان الحنفي، ثنا أبو سعيد إسماعيل بن علي السمان، ثنا أبو الحسين بن أحمد بن محمد بن محمود البزار، ثنا أبو سعيد الحسين بن أحمد بن محمد بن المبارك، ثنا أبو العباس أحمد بن الصلت بن المغلس الحماني، ثنا بشر بن الوليد القاضي عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة: سمعت أنس بن مالك رضي اللّه عنه يقول: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وبه عن أنس: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: «الدال على الخير كفاعله».

وبه عن أنس: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: «إن اللّه يحب إغاثة اللهفان». أقول: أحمد بن الصلت بن المغلس مجروح.

والحديث الأول متنه مشهور، وقد قال النووي في فتاواه: هو حديث ضعيف وإن كان معناه صحيحاً. وقال الحافظ جمال الدين المزي: روي من طريق يبلغ رتبة الحسن. قلت: وعندي أنه بلغ رتبة الصحيح لأني وقفت له على نحو خمسين طريقاً وقد جمعتها في جزء.

والحديث الثاني منه صحيح ورد من رواية جمع من الصحابة، وأصله في «صحيح مسلم» من حديث أبي مسعود بلفظ: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله».

والحديث الثالث متنه صحيح ورد من رواية جمع من الصحابة، وصححه الضياء المقدسي في «المختارة» من حديث بريدة رضي اللّٰه عنه.

ثم قال أبو معشر: أنا أبو عبد اللّٰه، حدثنا إبراهيم، حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا أبو سعيد الحسين بن أحمد، ثنا علي بن أحمد بن الحسين البصري ثنا أحمد بن عبد اللّٰه بن حرام، ثنا المظفر بن منهل، ثنا موسى بن عيسى بن المنذر الحمصي، ثنا أبي، ثنا إسماعيل بن عياش، عن أبي حنيفة عن واثلة بن الأسقع ـ رضي اللّٰه عنه ـ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم قال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

وبه عن واثلة عن النبي صلى اللّٰه عليه وآله وسلم قال: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه اللّٰه ويبتليك».

أقول: الحديث الأول متنه صحيح ورد من رواية جمع من الصحابة، وقد صححه الترمذي وابن حبان والحاكم والضياء من حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنهما.

والحديث الثاني أخرجه الترمذي من وجه آخر عن واثلة وحسنه، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي اللّٰه عنهما.

ثم قال أبو معشر: أخبرنا أبو يوسف عبد اللّٰه، حدثنا أبو إبراهيم حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا أبو سعد السمان، حدثنا أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق اليماني، حدثنا أبو الحسن علي بن بابويه الأسواري، حدثنا أبو داود الطيالسي عن أبي حنيفة قال: ولدت سنة ثمانين وقدم عبد اللّٰه بن أنيس ـ رضي اللّٰه عنه ـ الكوفة سنة أربع وتسعين ورأيته وسمعت منه وأنا ابن أربع عشرة سنة، سمعته يقول: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم: «حبك الشيء يعمي ويصم».

أقول: هذا الحديث رواه أبو داود في «سننه» من حديث أبي الدرداء ـ رضي اللّٰه عنه، وأصعب ما هنا أن يقال: إن عبد اللّٰه بن أنيس الجهني الصحابي المشهور مات سنة أربع وخمسين وذلك قبل مولد أبي حنيفة بدهر. والجواب أن الصحابة المسمين عبد اللّٰه بن أنيس خمسة، فلعل الذي روى عنه أبو حنيفة واحد آخر منهم غير الجهني المشهور.

ثم قال أبو معشر: أخبرنا أبو عبد الله، حدثنا أبو إبراهيم، أنا أبو بكر الحنفي، حدثنا أبو سعد السمان، ثنا محمد بن موسى، ثنا محمد بن عياش الجلودي عن التمتام يحيى بن القاسم، عن أبي حنيفة: سمعت عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة». أقول: هذا الحديث متنه صحيح بل متواتر.

وبه إلى أبي سعد السمان، ثنا أبو محمد عبد الله بن كثير الرازي، ثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ثنا عباس بن محمد الدوري، حدثنا يحيى بن معين عن أبي حنيفة أنه سمع عائشة بنت عجرد رضي الله عنها تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثر جند الله في الأرض الجراد لا آكله ولا أحرمه». أقول: هذا الحديث متنه صحيح، أخرجه أبو داود من حديث سلمان وصححه الضياء في «المختارة».

## ذكر من روى عنهم الإمام أبو حنيفة من التابعين فمن بعدهم

قال الحافظ جمال الدين المزي: روى أبو حنيفة عن (١) إبراهيم بن محمد بن المنتشر و(٢) إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفير و(٣) جبلة بن سحيم و(٤) أبي هند الحارث بن عبد الرحمن الهمداني و(٥) الحسن بن عبيد الله و(٦) الحكم بن عتيبة و(٧) حماد بن أبي سليمان و(٨) خالد بن علقمة و(٩) ربيعة بن أبي عبد الرحمن و(١٠) زبيد اليامي و(١١) زياد بن علاقة و(١٢) سعيد بن مسروق الثوري و(١٣) سلمة بن كهيل و(١٤) سماك بن حرب و(١٥) أبي روبة شداد بن عبد الرحمن و(١٦) شيبان بن عبد الرحمن النحوي وهو من أقرانه و(١٧) طاوس بن كيسان فيما قيل و(١٨) طريف بن سفيان السعدي و(١٩) أبي سفيان طلحة بن نافع و(٢٠) عاصم بن كليب و(٢١) عامر الشعبي و(٢٢) عبد الله بن أبي حبيبة و(٢٣) عبد الله بن دينار و(٢٤) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج و(٢٥) عبد العزيز بن رفيع و(٢٦) عبد الكريم بن المخارق أبي أمية البصري و(٢٧) عبد الملك بن عمير و(٢٨) عدي بن ثابت الأنصاري و(٢٩) عطاء بن أبي رباح و(٣٠) عطاء بن السائب و(٣١) عطية بن سعد العوفي و(٣٢) عكرمة مولى ابن عباس و(٣٣) علقمة بن مرشد و(٣٤) علي بن الأقمر و(٣٥) علي بن الحسن الزراد و(٣٦) عمرو بن دينار و(٣٧) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود و(٣٨) قابوس بن أبي ظبيان و(٣٩) القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود و(٤٠) قتادة بن دعامة و(٤١) قيس بن مسلمة الجدلي و(٤٢)

محارب بن دثار و(٤٣) محمد بن الزبير الحنظلي و(٤٤) محمد بن السائب الكلبي و(٤٥) أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب و(٤٦) محمد بن قيس الهمداني و(٤٧) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري و(٤٨) محمد بن المنكدر و(٤٩) مخول بن راشد و(٥٠) مسلم البطين و(٥١) مسلم الملائي و(٥٢) معن بن عبد الرحمن و(٥٣) مقسم و(٥٤) منصور بن المعتمر و(٥٥) موسى بن أبي عائشة و(٥٦) ناصح بن عبد اللّه المحملي و(٥٧) نافع مولى ابن عمر و(٥٨) هشام بن عروة و(٥٩) أبي غسان الهيثم بن حبيب الصراف و(٦٠) الوليد بن سريع المخزومي و(٦١) يحيى بن سعيد الأنصاري و(٦٢) أبي حجية يحيى بن عبد اللّه الكندي و(٦٣) يحيى بن عبد اللّه الجابر و(٦٤) يزيد بن صهيب الفقير و(٦٥) يزيد بن عبد الرحمن الكوفي و(٦٦) يونس بن عبد اللّه بن أبي الجهم و(٦٧) أبي جناب الكلبي و(٦٨) أبي حصين الأسدي و(٦٩) أبي الزبير المكي و(٧٠) أبي السوار ويقال: أبو السوداء السلمي و(٧١) أبي عون الثقفي و(٧٢) أبي فروة و(٧٣) أبي معبد مولى ابن عباس و(٧٤) أبي يعفور العبدي رحمة اللّه عليهم أجمعين.

## ذكر الرواة عن الإمام أبي حنيفة رحمه اللّه تعالى

روى عنه (١) إبراهيم بن طهمان و(٢) الأبيض بن الأغر بن الصباح المنقري و(٣) أسباط بن محمد القرشي و(٤) إسحاق بن يعقوب الأزرق و(٥) أسد بن عمرو البجلي و(٦) إسماعيل بن يحيى الصيرفي و(٧) أيوب بن هانىء الجدلي و(٨) الجارود بن يزيد النيسابوري و(٩) جعفر بن عون و(١٠) الحارث بن نبهان و(١١) حبان بن علي العنزي و(١٢) الحسن بن زياد اللؤلؤي و(١٣) الحسن بن فرات القزاز و(١٤) الحسين بن حسن بن عطية العوفي و(١٥) جعفر بن عبد الرحمن البلخي القاضي و(١٦) حكام بن سلم الرازي و(١٧) أبو مطيع الحكم بن عبد الرحمن البلخي و(١٨) ابنه حماد بن أبي حنيفة و(١٩) حمزة بن حبيب الزيات و(٢٠) خارجة بن مصعب السرخسي و(٢١) داود بن نصير الطائي و(٢٢) أبو الهذيل زفر بن الهذيل التميمي و(٢٣) زيد بن الحباب العكلي و(٢٤) سابق الرقي و(٢٥) سعد بن الصلت قاضي شيراز و(٢٦) سعيد بن أبي الجهم القابوسي و(٢٧) سعيد بن سلام بن الهيفاء العطار البصري و(٢٨) سلم بن سالم البلخي و(٢٩) سليمان بن عمر النخعي و(٣٠) سهل بن مزاحم و(٣١) شعيب بن إسحاق الدمشقي و(٣٢) الصباح بن محارب و(٣٣) الصلت بن الحجاج الكوفي و(٣٤) أبو عاصم الضحاك بن مخلد و(٣٥) عامر بن

الفرات القسري و(٣٦) عائذ بن حبيب و(٣٧) عباد بن العوام و(٣٨) عبد اللّه بن المبارك و(٣٩) عبد اللّه بن يزيد المقرىء و(٤٠) عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني و(٤١) عبد الرزاق بن همام و(٤٢) عبد العزيز بن خالد الترمذي و(٤٣) عبد الكريم بن محمد الجرجاني و(٤٤) عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد و(٤٥) عبد الوارث بن سعيد و(٤٦) عبيد اللّه بن عمرو الرقي و(٤٧) عبيد اللّه بن موسى و(٤٨) عتاب بن محمد بن شوذان و(٤٩) علي بن ظبيان الكوفي القاضي و(٥٠) علي بن عاصم الواسطي و(٥١) علي بن مسهر و(٥٢) عمرو بن محمد العنقزي و(٥٣) أبو قطن عمرو بن الهيثم القطني و(٥٤) أبو نعيم الفضل بن دكين و(٥٥) الفضل بن موسى السيناني و(٥٦) القاسم بن الحكم العرني و(٥٧) القاسم بن معن المسعودي و(٥٨) قيس بن الربيع و(٥٩) محمد بن أبان العنبري و(٦٠) محمد بن بشر العبدي و(٦١) محمد بن الحسن بن أنس الصنعاني و(٦٢) محمد بن الحسن الشيباني و(٦٣) محمد بن خالد الوهبي و(٦٤) محمد بن عبد اللّه الأنصاري و(٦٥) محمد بن الفضل بن عطية و(٦٦) محمد بن القاسم الأسدي و(٦٧) محمد بن مسروق الكوفي و(٦٨) محمد بن يزيد الواسطي و(٦٩) مروان بن سالم و(٧٠) مصعب بن المقدام و(٧١) المعافى بن عمران الموصلي و(٧٢) مكي بن إبراهيم البلخي و(٧٣) أبو سهل نصر بن عبد الكريم البلخي المعروف بالصيقل و(٧٤) نصر بن عبد الملك العتكي و(٧٥) أبو غالب النضر بن عبد اللّه الأزدي و(٧٦) النضر بن محمد المروزي و(٧٧) النعمان بن عبد السلام الأصبهاني و(٧٨) نوح بن دراج القاضي و(٧٩) أبو عصمة نوح بن أبي مريم و(٨٠) هريم بن سفيان و(٨١) هوذة بن خليفة و(٨٢) الهياج بن بسطام البرجمي و(٨٣) وكيع بن الجراح و(٨٤) يحيى بن أيوب المصري و(٨٥) يحيى بن نصر بن حاجب و(٨٦) يحيى بن يمان و(٨٧) يزيد بن زريع و(٨٨) يزيد بن هارون و(٨٩) يونس بن بكير الشيباني و(٩٠) أبو إسحاق الفزاري و(٩١) أبو حمزة السكري و(٩٢) أبو سعد الصاغاني و(٩٣) أبو شهاب الحناط و(٩٤) أبو مقاتل السمرقندي و(٩٥) القاضي أبو يوسف رحمهم اللّه تعالى.

## ذكر نبذ من أخباره ومناقبه

روى الخطيب في تاريخه عن أبي يوسف قال: قال أبو حنيفة: لما أردت طلب العلم جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها فقيل لي: تعلم القرآن فقلت: إذا تعلمت القرآن وحفظته فما يكون آخره؟ قالوا: تجلس في المسجد ويقرأ عليك

الصبيان والأحداث، ثم لا تلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو يساويك في الحفظ فتذهب رياستك، قلت: فإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني؟ قالوا: إذا كبرت وضعفت حدثت واجتمع عليك الأحداث والصبيان، ثم لم تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب فيصير عاراً عليك في عقبك، فقلت: لا حاجة لي في هذا، ثم قلت: أتعلم النحو فقلت: إذا تعلمت النحو والعربية ما يكون آخر أمري؟ قالوا: تقعد معلماً فأكثر رزقك ديناران إلى الثلاثة، قلت: وهذا لا عاقبة له، قلت: فإن نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني ما يكون من أمري؟ قالوا: تمدح هذا فيهب لك أو يحملك على دابة، أو يخلع عليك خلعة، وإن حرمك هجوته فصرت تقذف المحصنات، فقلت: لا حاجة لي في هذا، قلت: فإن نظرت في الكلام فما يكون آخره؟ قالوا: لا يسلم من نظر في الكلام من شنعات الكلام فيرمى بالزندقة، فإما أن يؤخذ فيقتل، وإما أن يسلم فيكون مذموماً، قلت: فإن تعلمت الفقه؟ قالوا: تسأل وتفتي الناس وتطلب للقضاء وإن كنت شاباً، قلت: ليس في العلوم شيء أنفع من هذا فلزمت الفقه وتعلمته.

وروى الخطيب عن زفر بن الهذيل قال: سمعت أبا حنيفة يقول: كنت أنظر في الكلام حتى بلغت مبلغاً يشار إليّ فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان فجاءتني امرأة يوماً فقالت: لي رجل له امرأة أراد أن يطلقها للسنة كم يطلقها؟ فلم أدر ما أقول فأمرتها أن تسأل حماداً، ثم ترجع فتخبرني، فسألت حماداً فقال: يطلقها وهي طاهرة من الحيض والجماع تطليقة، ثم يتركها حتى تحيض حيضتين، فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج؛ فرجعت فأخبرتني فقلت: لا حاجة لي في الكلام، وأخذت نعلي فجلست إلى حماد، فكنت أسمع مسائله فأحفظها، ثم يعيدها من الغد فأحفظها ويخطىء أصحابه فقال: لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة فصحبته عشر سنين؛ ثم نازعتني نفسي الطلب للرياسة فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي، فخرجت يوماً بالعشي وعزمي أن أفعل، فلما دخلت المسجد فرأيته لم تطب نفسي أن أعتزله فجئت فجلست معه، فجاءه في تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة وترك مالاً، وليس له وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه؛ فما هو إلا أن خرج حتى وردت عليّ مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين ثم قدم فعرضت عليه المسائل وكانت نحواً من ستين مسألة فوافقني في أربعين وخالفني في عشرين، فآليت على نفسي أن لا أفارقه حتى يموت، فلم أفارقه حتى مات.

وروى الخطيب عن أحمد بن عبد اللّه العجلي قال: قال أبو حنيفة: قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شيء إلا أجبت فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب. فجعلت على نفسي أن لا أفارق حماداً حتى يموت، فصحبته ثماني عشرة سنة.

وروى الخطيب عن أبي يحيى الحماني قال: سمعت أبا حنيفة يقول: رأيت رؤيا فأفزعتني، رأيت كأني أنبش قبر النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، فأتيت البصرة فأمرت رجلاً يسأل محمد بن سيرين، فسأله فقال: هذا رجل ينبش أخبار رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم.

وروى الخطيب عن أبي وهب محمد بن مزاحم قال: سمعت عبد اللّه بن المبارك يقول: لولا أن اللّه عزّ وجلّ أعانني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس.

وروى الخطيب عن حجر بن عبد الجبار قال: قيل للقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن مسعود: ترضى أن تكون من غلمان أبي حنيفة؟ قال: لا جلس الناس إلى أحد أنفع من مجالسة أبي حنيفة، وقال القاسم: تعال - يعني إليه - فجاء فلما جاء إليه لزمه وقال: رأيت مثل هذا! وكان أبو حنيفة ورعاً سخياً.

وروى الخطيب عن أحمد بن الصباغ قال: سمعت الشافعي محمد بن إدريس قال: قيل لمالك بن أنس: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته!

وروى الخطيب عن روح بن عبادة قال: كنت عند ابن جريج سنة خمسين ومائة وأتاه موت أبي حنيفة فاسترجع وترجع وقال: أيّ علم ذهب!

وروى الخطيب عن ضرار بن صرد قال: سئل يزيد بن هارون أيما أفقه أبو حنيفة أو سفيان؟ قال: سفيان أحفظ للحديث، وأبو حنيفة أفقه.

وروى الخطيب عن أبي وهب محمد بن مزاحم قال: سمعت عبد اللّه بن المبارك يقول: رأيت أعبد الناس، ورأيت أورع الناس، ورأيت أعلم الناس، ورأيت أفقه الناس، فأما أعبد الناس فعبد العزيز بن أبي رواد، وأما أورع الناس فالفضيل بن عياض، وأما أعلم الناس فسفيان الثوري، وأما أفقه الناس فأبو حنيفة، ثم قال: ما رأيت في الفقه مثله.

وروى الخطيب عن أبي الوزير المروزي قال: قال عبد اللّه بن المبارك: إذا اجتمع سفيان وأبو حنيفة فمن يقوم بهما على فتيا؟!

وروى الخطيب عن علي بن الحسن بن شقيق قال: كان عبد اللّه بن المبارك

يقول: إذا اجتمع هذان على شيء فذاك قولي - يعني الثوري وأبا حنيفة.

وروى الخطيب عن عبد الرزاق قال: سمعت ابن المبارك يقول: إن كان أحد ينبغي له أن يقول برأيه فأبو حنيفة ينبغي له أن يقول برأيه!

وروى الخطيب عن بشر بن الحارث قال: سمعت عبد اللّه بن داود قال: إذا أردت الآثار - أو قال: الحديث - فسفيان، وإذا أردت تلك الدقائق فأبو حنيفة.

وروى الخطيب عن محمد بن بشر قال: كنت أختلف إلى أبي حنيفة وإلى سفيان، فآتي أبا حنيفة فيقول لي: من أين جئت؟ فأقول: من عند سفيان، فيقول: لقد جئت من عند رجل لو أن علقمة والأسود حضرا لاحتاجا إلى مثله! فآتي سفيان فيقول: من أين جئت؟ فأقول: من عند أبي حنيفة، فيقول: لقد جئت من عند أفقه أهل الأرض!

وروى الخطيب عن يحيى بن زبان قال: قال لي أبو حنيفة: يا أهل البصرة أنتم أورع منا، ونحن أفقه منكم.

وروى الخطيب عن أبي نعيم قال: كان أبو حنيفة صاحب غوص في المسائل.

وروى عن محمد بن سعد الكاتب قال: سمعت عبد اللّه بن داود الخريبي يقول: يجب على أهل الإسلام أن يدعوا اللّه لأبي حنيفة في صلاتهم قال: وذكر حفظه عليهم السنن والفقه.

وروى الخطيب عن أحمد بن محمد البلخي قال: سمعت شداد بن حكيم يقول: ما رأيت أعلم من أبي حنيفة.

وروى الخطيب عن إسماعيل بن محمد الفارسي قال: سمعت مكي بن إبراهيم ذكر أبا حنيفة فقال: كان أعلم أهل زمانه.

وروى الخطيب عن يحيى بن سعيد القطان يقول: لا نكذب اللّه ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله، قال يحيي بن معين: وكان يحيى بن سعيد يذهب في الفتوى إلى قول الكوفيين ويختار قوله من أقوالهم، ويتبع رأيه من بين أصحابه.

وروى الخطيب عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه.

وروى الخطيب عن حرملة بن يحيى قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: الناس عيال على هؤلاء الخمسة: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، كان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه؛ ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو

عيال على زهير بن أبي سلمى، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، ومن أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان.

وروى الخطيب عن حماد بن يونس قال: سمعت أسد بن عمرو يقول: صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة، وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعين ألف مرة.

وروى الخطيب عن حماد بن أبي حنيفة قال: لما مات أبي سألنا الحسن بن عمارة أن يتولى غسله ففعل، فلما غسله قال: يرحمك اللّه وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد بيمينك بالليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء.

وروى الخطيب عن أبي يوسف قال: بينا أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعت رجلاً يقول لرجل: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، قال أبو حنيفة: واللّه لا يتحدث علي ما لم أفعل؛ وكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعاً.

وروى الخطيب عن حفص بن عبد الرحمن قال: سمعت مسعر بن كدام يقول: دخلت ذات ليلة المسجد فرأيت رجلاً يصلي فاستحليت قراءته، فقرأ سبعاً فقلت: يركع، ثم قرأ الثلث ثم النصف فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة؛ فنظرت فإذا هو أبو حنيفة!

وروى الخطيب عن خارجة بن مصعب قال: ختم القرآن في ركعة أربعة من الأئمة: (١) عثمان بن عفان و(٢) تميم الداري و(٣) سعيد بن جبير و(٤) أبو حنيفة.

وروى الخطيب عن يحيى بن نصر قال: كان أبو حنيفة ربما ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة.

وروى الخطيب عن حبان بن موسى قال: سمعت عبد اللّه بن المبارك يقول: قدمت الكوفة فسألت عن أورع أهلها؟ فقالوا: أبو حنيفة.

وروى الخطيب عن سليمان بن الربيع قال: سمعت مكي بن إبراهيم يقول: جالست الكوفيين فما رأيت فيهم أورع من أبي حنيفة.

وروى الخطيب عن علي بن حفص البزار قال: كان حفص بن عبد الرحمن شريك أبي حنيفة فبعث إليه في رفقة بمتاع وأعلمه أن في ثوب كذا عيباً، فإذا بعته

فبين، فباع حفص المتاع ونسي أن يبين ولم يعلم ممن باعه، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله.

وروى الخطيب عن حامد بن آدم قال: سمعت عبد اللّه بن المبارك يقول: ما رأيت أحداً أورع من أبي حنيفة.

وروى الخطيب عن عبيد اللّه بن عمرو الرقي قال: كلم ابن هبيرة أبا حنيفة أن يلي قضاء الكوفة فأبى عليه.

وروى الخطيب عن مغيث بن بديل قال: قال خارجة بن مصعب: أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم فدعي ليقبضها، فشاورني وقال: هذا رجل إن رددتها عليه غضب، وإن قبلتها دخل عليّ في ديني ما أكره، فقلت: إن هذا المال عظيم في عينه، فإذا دعيت لتقبضها فقل: لم يكن أملي من أمير المؤمنين، فدعي ليقبضها فقال ذلك، فرفع إليه خبره فحبس الجائزة. قال: وكان أبو حنيفة لا يكاد يشاور في أمره غيري.

وروى الخطيب عن محمد بن عبد الملك الدقيقي قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: أدركت الناس فما رأيت أحداً أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبي حنيفة.

وروى الخطيب عن محمد بن عبد اللّه الأنصاري قال: كان أبو حنيفة يتبين عقله في منطقه ومشيه ومدخله ومخرجه.

وروى الخطيب عن حجر بن عبد الجبار قال: ما رأى الناس أكرم مجالسة من أبي حنيفة ولا إكراماً لأصحابه.

وروى الخطيب عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: كان لنا جار طحان رافضي، وكان له بغلان سمى أحدهما أبا بكر، والآخر عمر فرمحه ذات ليلة أحدهما فقتله، فأخبر أبو حنيفة فقال: انظروا البغل الذي رمحه تجدوه الذي سماه عمر، فنظروا فكان كذلك.

وروى الخطيب عن سليمان بن أبي سلم قال: قال مساور الوراق أبياتاً في أبي حنيفة فلقيه أبو حنيفة فقال: هجوتنا نحن نرضيك، فبعث إليه بدراهم فقال:

إذا ما أهل مصر ما دهونا ... بداهية من الفتيا لطيفة
أتيناهم بمقياس صحيح ... صليب من طراز أبي حنيفة
إذا سمع الفقيه به حواه ... وأثبته بحبر في صحيفة

وروى الخطيب عن محمد بن أحمد بن يعقوب قال: حدثنا جدي قال: أملى

عليَّ بعض أصحابنا أبياتاً مدح بها عبد اللّه بن المبارك أبا حنيفة:

رأيت أبا حنيفة كل يوم — يزيد نبالة ويزيد خيرا
وينطق بالصواب ويصطفيه — إذا ما قال أهل الجور جورا
يقايس من يقايسه بلب — فمن ذا يجعلون له نظيرا
كفانا فقه حماد وكانت — مصيبتنا به أمراً كبيرا
فرد شماتة الأعداء عنا — وأبدى بعده علماً كثيرا
رأيت أبا حنيفة حين يؤتى — ويطلب علمه بحراً غزيرا
إذا ما المشكلات تدافعتها — رجال العلم كان بها بصيرا

وروى الخطيب عن ابن أبي داود قال: الناس في أبي حنيفة جاهل به وحاسد له.

وروى الخطيب عن ابن أبي داود قال: الناس في أبي حنيفة حاسد وجاهل، وأحسنهم عندي حالاً الجاهل.

وروى الخطيب عن عبد العزيز بن أبي داود، عن وكيع قال: دخلت على أبي حنيفة فرأيته مطرقاً متفكراً، فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من عند شريك ـ وأظنه كان بلغه عنه شيء، فرفع رأسه وأنشأ يقول:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم — قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم — ومات أكثرنا غيظاً بما مجدوا

وروى الخطيب عن أحمد بن عبد قاضي الري قال: كنا عند ابن أبي عائشة فذكر حديثاً لأبي حنيفة فقال بعض من حضر: لا نريده، فقال لهم: أما أنكم لو رأيتموه لأردتموه، وما أعرف له ولكم مثلاً إلا ما قال الشاعر:

أقلوا عليهم ويلكم لا أبا لكم — من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وروى الخطيب عن يحيى بن الضريس قال: سمعت سفيان وأتاه رجل فقال: سمعت أبا حنيفة يقول: آخذ بكتاب اللّه، فما لم أجد فبسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، فما لم أجد في كتاب اللّه ولا في سنة رسول اللّه أخذت بقول أصحابه، آخذ بقول من شئت منهم وأدع من شئت منهم، وما أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فأما إذا انتهى الأمر وجاء إلى إبراهيم والشعبي، وابن سيرين، والحسن، وعطاء، وسعيد بن المسيب، وعدد رجالاً ـ فقوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا.

وروى أبو عبد اللّه الحسين بن محمد بن خسرو البلخي في مقدمة مسنده أن

محمد بن سلمة قال: قال خلف بن أيوب: صار العلم من اللّه تعالى إلى محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، ثم صار إلى أصحابه، ثم صار إلى التابعين، ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه.

وروى أيضاً عن محمد بن حفص عن الحسن بن سليمان أنه قال في تفسير حديث «لا تقوم الساعة حتى يظهر العلم» قال: هو علم أبي حنيفة وتفسيره الآثار.

وروى أيضاً عن سعيد بن منصور قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: كان أبو حنيفة رجلاً فقيهاً، معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع، واسع المال، مصروفاً بالإفضال على كل من يطيف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار، حسن الليل، كثير الصمت، قليل الكلام حتى ترد مسألة في حرام أو حلال، وكان يحسن البذل على الحق، هارباً من مال السلطان، وكان إذا وردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتبعه، وإن كان عن الصحابة والتابعين وإلا قاس فأحسن القياس.

وروى أيضاً عن أبي عبيد قال: سمعت الشافعي يقول: من أراد أن يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه! فإن الناس كلهم عيال عليه في الفقه.

وروى أيضاً عن وكيع قال: كان واللّه أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان اللّه في قلبه جليلاً عظيماً كبيراً، وكان يؤثر رضى ربه على كل شيء، ولو أخذته السيوف في اللّه لاحتمل ـ رحمه اللّه ورضي عنه الأبرار ـ فلقد كان منهم.

وروى أيضاً عن الحسن بن الحارث قال: سمعت النضر بن شميل يقول: كان الناس نياماً في الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فقهه وبينه ولخصه.

وروى أيضاً عن ابن المبارك قال: رأيت مسعراً في حلقة أبي حنيفة وهو جالس بين يديه يسأله ويستفهم منه وما رأيت أحداً تكلم في الفقه أحسن من أبي حنيفة.

وروى أيضاً عن أبي نعيم قال: كان أبو حنيفة حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، حسن المجلس، شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه.

وروى أيضاً عن عبد الرزاق قال: كنت عند معمر فأتاه ابن المبارك فسمعت معمراً يقول: ما أعرف رجلاً يحسن التكلم في الفقه ويسعه أن يقيس ويشرح الحديث في الفقه أحسن معرفة من أبي حنيفة، ولا أشفق على نفسه من أن يدخل في دين اللّه شيئاً من الشك مثل أبي حنيفة.

وروى أيضاً عن بشر بن الحارث قال: سمعت ابن أبي داود يقول: لا يتكلم في أبي حنيفة إلا رجلان: إما حاسد لعلمه، وإما جاهل بالعلم لا يعرف قدر حملته، لقد سمعت أبا معاوية الضرير يقول: كنت عند هارون فأطعمت شيئاً من الحلو، ثم أتى بماء وطست فصب على يدي من الماء، ثم قال: تدري من يصب على يدك الماء؟ قلت: لا، قال: أمير المؤمنين إجلالاً للعلم، فقلت: أكرمك الله كما أكرمت العلم.

وروى عن بشر بن موسى قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقرىء وكان إذا حدثنا عن أبي حنيفة قال: حدثنا شاهنا.

وروى أيضاً عن ابن أبي أويس قال: سمعت الربيع يقول: دخل أبو حنيفة يوماً على المنصور وعنده عيسى بن موسى فقال المنصور: هذا عالم الدنيا اليوم، فقال له: يا نعمان عمن أخذت العلم؟ قال: عن أصحاب عمر عن عمر، وعن أصحاب علي عن علي، وعن أصحاب عبد اللّه عن عبد اللّه، وما كان في وقت ابن عباس على وجه الأرض أعلم منه؛ قال: لقد استوثقت لنفسك.

وروى أيضاً عن يحيى الحماني قال: سمعت ابن المبارك يقول: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد اللّه ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدواً له قط، قال: هو واللّه أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها.

وروى عن ابن المبارك قال: رأيت الحسن بن عمارة آخذاً بركاب أبي حنيفة وهو يقول: واللّه ما أدركنا أحداً يتكلم في الفقه أبلغ، ولا أخصر جواباً منك، وإنك لسيد من تكلم فيه في وقتك غير مدافع، وما يتكلمون فيك إلا حسداً.

وروى أيضاً عن مسعر بن كدام قال: أتيت أبا حنيفة في مسجده فرأيته يصلي بالغداة، ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلي الظهر، ثم يجلس إلى العصر، فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب، فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلي العشاء؛ فقلت في نفسي: هذا الرجل في هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة لأتعاهدنه، فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد فانتصب إلى الصلاة إلى أن طلع الفجر، ودخل منزله ولبس ثيابه وخرج إلى المسجد وصلى الغداة فجلس للناس إلى الظهر، ثم إلى العصر، ثم إلى المغرب، ثم إلى العشاء؛ فقلت في نفسي: إن الرجل قد ينشط الليلة لأتعاهدنه الليلة فتعاهدته، فلما هدأ الناس خرج فانتصب للصلاة ففعل كفعله في الليلة الأولى، فلما أصبح جلس كذلك ثم خرج إلى الصلاة وفعل كفعله في يوميه؛ حتى إذا صلى العشاء قلت في نفسي: إن الرجل قد ينشط الليلة والليلتين

لأتعاهدنه الليلة، ففعل كفعله في ليلتيه، فلما أصبح جلس كذلك؛ فقلت في نفسي: لألزمنه إلى أن يموت أو أموت، فلازمته في مسجده، وقال ابن أبي معاذ: فبلغني أن مسعراً مات في مسجد أبي حنيفة في سجوده رحمة اللّه عليه.

وروى أيضاً عن أبي الجويرية قال: لقد صحبت حماد بن أبي سليمان وعلقمة بن مرثد، ومحارب بن دثار، وعون بن عبد اللّه، وصحبت أبا حنيفة فلم يكن في القوم أحسن ليلاً من أبي حنيفة، لقد صحبته ستة أشهر فما رأيته وضع جنبه فيها.

وروى أيضاً عن أبي حمزة السكري قال: سمعت أبا حنيفة يقول: إذا جاء الحديث عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لم نحل عنه إلى غيره وأخذنا به، وإذا جاء عن الصحابة تخيرنا، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم.

وروى أيضاً عن أبي غسان قال: سمعت إسرائيل يقول: كان نعم الرجل النعمان ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه وأشد فحصه عنه فأكرمه الخلفاء والأمراء والوزراء، وكان إذا ناظره رجل في شيء من الفقه همته نفسه، ولقد كان مسعر يقول: من جعل أبا حنيفة بينه وبين اللّه رجوت أن لا يخاف ولا يكون فرط في الاحتياط لنفسه.

وروى أيضاً عن الحارث بن إدريس قال: قال أبو وهب العامري: قل من لا يرى المسح على الخفين أو يقع في أبي حنيفة إلا ناقص العقل.

وروى أيضاً عن أبي بكر بن عياش قال: مات عمر بن سعيد أخو سفيان فأتيناه نعزيه فإذا المجلس غاص بأهله، وفيهم عبد اللّه بن إدريس إذ أقبل أبو حنيفة في جماعة معه، فلما رآه سفيان تحول له من مجلسه ثم قام فاعتنقه وأجلسه في موضعه وقعد بين يديه، فقلت له: يا أبا عبد اللّه رأيتك اليوم فعلت شيئاً أنكرته وأنكره أصحابنا عليك، قال: وما هو؟ قلت: جاءك أبو حنيفة فقمت إليه وأجلسته في موضعك وصنعت به صنيعاً بليغاً، فقال: وما أنكرت من ذاك؟ هذا رجل من العلم بمكان فإن لم أقم لعلمه قمت لسنه، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه، فأفحمني فلم يكن له عندي جواب.

وروى أيضاً عن نعيم بن حماد قال: سمعت عبد اللّه بن المبارك يقول: قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديث عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا كان عن أصحاب النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم اخترنا ولم نخرج من قولهم؛ وإذا كان عن التابعين زاحمناهم.

وروى أيضاً عن علي بن يزيد الصدائي قال: رأيت أبا حنيفة ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة ختمة بالليل، وختمة بالنهار.

وروى أيضاً عن أبي يحيى الحماني عن بعض أصحاب أبي حنيفة أنه كان يصلي الفجر بوضوء العشاء، وكان إذا أراد أن يصلي من الليل تزين وسرح لحيته.

وروى من كتاب الحافظ أبي بكر محمد بن عمر الجعابي عن إسحاق بن البهلول قال: قال سفيان بن عيينة: سمعت شقيق بن عتيبة يقول: ما مقلت عيني مثل أبي حنيفة.

وروى منه أيضاً عن عفان بن مسلم قال: سمعت حماد بن سلمة وذكر أبا حنيفة فقال: من أحسن الناس فتوى.

وروى منه أيضاً عن إسماعيل بن عياش قال: سمعت الأوزاعي والعمري يقولان: أبو حنيفة أعلم الناس بمعضلات المسائل.

وروى منه أيضاً عن يزيد بن هارون قال: وددت أني كتبت عن أبي حنيفة كذا وكذا مسألة.

وروى من تاريخ بخارى عن غنجار عن علي بن عاصم قال: لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم.

وروى منه أيضاً عن نعيم بن عمر قال: سمعت أبا حنيفة يقول: عجباً للناس يقولون: إني أفتي بالرأي ما أفتي إلا بالأثر.

وروى منه أيضاً عن أسد بن عمرو قال: سمعت أبا حنيفة يقول: ما بقي في القرآن سورة إلا وقد قرأت في وتري بها.

وقال ابن خسرو: سمعت أبا القاسم علي بن الحسين بن عبد الله الشافعي يقول: سمعت أبا القاسم بن برهان النحوي يقول: من رزقه الله فهماً لمذهب أبي حنيفة، ونحو الخليل، رأى منهما الآية الباهرة والحكمة والمعجزة واستنار في قلبه، إن الله لم يخص بهما إلا منهج الحق وشرعة الصدق.

وقال ابن خسرو: أنشدني القاضي أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد قال: أنشدنا الأستاذ الأديب أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد لنفسه:

حسبي من الخيرات ما أعددته ... يوم القيامة في رضى الرحمن

دين النبي محمد خير الورى ... ثم اعتقادي مذهب النعمان

وروى الخطيب في كتاب «المتفق والمفترق» عن محمد بن ثابت الأحول قال: سمعت أسيد بن أبي أسيد الحارثي تعجب من حضور جواب أبي حنيفة وقياسه قال: أخذ الحجام شعرة فقال: القط هذه الشعرات البيض فقال الحجام: لا تلقطها فإنك إن لقطتها كثرت، فقال أبو حنيفة: إن كانت البيض تكثر إذا لقطت فالقط السود إذن حتى تكثر.

وروى صاحب كتاب «العقلاء» بسنده عن محمد بن يحيى القصري قال: دعا المنصور أبا حنيفة والثوري ومسعراً وشريكاً ليوليهم القضاء فقال أبو حنيفة: أخمن فيكم تخميناً، أما أنا فأحتال فأتخلص، وأما مسعر فيتجانن فيتخلص، وأما سفيان فيهرب، وأما شريك فيقع؛ فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة: أنا رجل مولى، ولست من العرب، والعرب لا ترضى بأن يكون عليهم مولى، ومع ذلك فإني لا أصلح لهذا الأمر، فإن كنت صادقاً في قولي فلست أصلح، وإن كنت كاذباً فلا يجوز لك أن تولي كاذباً دماء المسلمين وفروجهم.

وأما سفيان فأدركه شخص في طريقه فذهب لحاجته وانصرف الشخص ينتظر فراغه، فبصر سفيان بسفينة فقال للملاح: إن أمكنتني من سفينتك وإلا أذبح، تأول قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين» فأخفاه الملاح تحت الباري.

وأما مسعر فدخل على المنصور فقال له: هات يدك كيف أنت وأولادك ودوابك؟ فقال: أخرجوه فإنه مجنون.

وأما شريك فتقلد، فهجره الثوري وقال: أمكنك الهرب فلم تهرب.

وروى أبو المظفر السمعاني في كتاب «الانتصار» وأبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام» عن نوح الجامع قال: قلت لأبي حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.

وروى الهروي عن محمد بن الحسن قال: قال أبو حنيفة: لعن اللّه عمرو بن عبيد، فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام، قال: وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام.

وفي «تاريخ ابن خلكان» كان أبو حنيفة عالماً، عاملاً، زاهداً، ورعاً، تقياً، كثير الخشوع، دائم التضرع إلى اللّه تعالى، أراد المنصور أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فقال الربيع بن يونس الحاجب:

ألا ترى أمير المؤمنين يحلف، فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين أقدر على كفارة أيمانه مني، وأبى أن يلي في أمر القضاء وهو يقول: اتق اللّه ولا ترع في أمانتك إلا من يخاف اللّه، واللّه ما أنا مأمون الرضى فكيف أكون مأمون الغضب ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك، ولا أصلح لذلك، فقال له: كذبت، أنت تصلح لذلك، فقال: قد حكمت على نفسك، كيف يحل لك أن تولي قاضياً على أمانتك وهو كذاب؟ قال: وكان أبو حنيفة حسن الوجه، ربعة، وقيل: وكان طُوالاً يعلوه سمرة.

وقال يحيى بن معين: القراءة عندي قراءة حمزة، والفقه فقه أبي حنيفة؛ على هذا أدركت الناس.

وقال جعفر بن الربيع: أقمت عند أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه، فإذا سئل عن الفقه نفح، وسال كالوادي، وسمعت له دوياً وجهارة بالكلام.

وقال عبد اللّه بن رجاء: كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحماً فطبخه، أو سمكة فيشويها، ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم؛ وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه، فقيل: أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد وركب بغلته واستأذن على الأمير، فقال الأمير: ائذنوا له وأقبلوا به راكباً، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له من مجلسه وقال: ما حاجتك؟ قال: لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال، يا أمير المؤمنين مُر بتخليته قال: نعم وكل من أخذ تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فقال له أبو حنيفة: يا فتى أضعناك، فقال: لا. بل حفظت ورعيت، جزاك اللّه خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه.

وقال ابن المبارك: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشوي لهم فصيل سمين فاشتهوا أن يأكلوه بخل، فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل، فتحيروا، فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك

الموضع؛ فأكلوا الشواء بالخل فقالوا: تحسن علم كل شيء فقال: عليكم بالسير فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلاً من الله عليكم!

وقال أبو يوسف: دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور - وكان يعادي أبا حنيفة -: يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك، كان عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - يقول: إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة، قال: وكيف ذلك؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم؛ فضحك المنصور وقال: يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع: أردت أن تُشيط بدمي فقال له: ولكنك أردت أن تشيط[١] بدمي فتخلصت نفسي.

وكان أبو العباس الطوسي سيىء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على المنصور، وكثر الناس فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه فقال: يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمر بضرب عنق الرجل لا ندري ما هو يسعه أن يضرب عنقه؟ فقال: يا أبا العباس أمير المؤمنين يضرب بالحق أم بالباطل؟ قال: بالحق، قال: أنفذ الحق حيث كان، ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوبقني فربطته.

وقال يزيد بن الكميت: قرأ بنا علي بن الحسن ليلة في العشاء الأخيرة سورة إذا زلزلت، وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس، فقلت: أقوم لا يشغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل فرجعت وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيراً، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شراً أجِر النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السوء! وأدخله في سعة رحمتك! قال: فأذنت فإذا القنديل يزهر وهو قائم فلما دخلت قال: تريد أن تأخذ القنديل؟ قلت: قد أذنت لصلاة الغداة، فقال: اكتم علي ما رأيت وركع ركعتين وجلس حتى أقيمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل.

وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين من الهجرة، وقيل: سنة إحدى وستين، والأول أصح؛ وتوفي في رجب، وقيل: في شعبان سنة خمسين ومائة، وقيل:

(١) أشاط بدمه: عرّضه للقتل وأهدر دمه.

لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة المذكورة، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: ثلاث وخمسين؛ وقيل: إنه توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي رضي اللّه عنه، وكانت وفاته ببغداد، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور يُزار - انتهى ما أورده ابن خلكان. زاد الحافظ جمال الدين المزي في «التهذيب»: وصلي عليه ست مرات ولم يقدر على دفنه إلى العصر من كثرة الزحام.

وفي كتاب «غاية الاختصار في مناقب الأربعة أئمة الأمصار» روي عن ابن المبارك أنه قال: ما كان أوقر مجلس أبي حنيفة فقد كنا يوماً في المسجد الجامع فسقطت حية فوقعت في حجر أبي حنيفة وهرب الناس غيره، وما رأيته زاد على أن نفض الحية وجلس مكانه.

وعن سلمة بن نسيب قال: كان عبد الرزاق يقول: كنت إذا رأيت أبا حنيفة بانت آثار البكاء في عينيه وفي خديه.

وعن سهل بن مزاحم قال: كنا ندخل على أبي حنيفة فلا نرى في بيته شيئاً إلا البواري[1]، وكان أبو يوسف يقول: كان أبو حنيفة خلفاً ممن مضى، ما خلف واللّه على وجه الأرض خلفاً مثله.

وعن يزيد بن الكميت قال: سمعت أبا حنيفة وقد ناظره رجل في مسألة فقال: غفر اللّه لك اللّه يعلم مني خلاف ما قلت، وهو يعلم أني ما عدلت به أحداً منذ عرفته، ولا رجوت إلا عفوه، ولا خفت إلا عقابه، ثم بكى عند ذكر العقاب فسقط صريعاً، ثم أفاق، فقال الرجل: اجعلني في حل، قال: كل من قال ما ليس فيَّ من أهل الجهل فهو في حل، ومن قال شيئاً مما ليس فيّ من أهل العلم فهو في حرج، فإن غيبة العلماء تبقي شيئاً بعدهم.

وعن الدراوردي قال: رأيت مالكاً وأبا حنيفة في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم بعد صلاة العشاء الأخيرة وهما يتذكران ويتدارسان حتى إذا رمى أحدهما على الذي قال به وعمل عليه أمسك أحدهما عن صاحبه من غير تعسف ولا تخطئة لواحد منهما حتى صليا الغداة في مجلسهما ذلك.

وعن منصور بن هاشم قال: كنا عند عبد اللّه بن المبارك بالقادسية إذ جاءه رجل من أهل الكوفة فوقع في أبي حنيفة فقال له عبد اللّه: ويحك أتقع في رجل صلى خمساً وأربعين سنة على وضوء واحد وكان يجمع القرآن في ركعتين في ليلة وتعلمت الفقه الذي عندي من أبي حنيفة.

---

(١) الحصير.

وعن سويد بن سعيد المروزي قال: سمعت ابن المبارك يقول:

لقد زان البلاد ومن عليها إمام المسلمين أبو حنيفة
بآثار وفقه في حديث كآثار الرموز على الصحيفة
فما في المشرقين له نظير ولا بالمغربين ولا بكوفة
رأيت القامعين له سفاهاً خلاف الحق مع حجج ضعيفة

وقال أبو القاسم غسان بن محمد بن عبد اللّه بن سالم التميمي في أبي حنيفة:

وضع القياس أبو حنيفة كله فأتى بأوضح حجة وقياس
والناس يتبعون فيها قوله لما استبان ضياؤه للناس
أفدى الإمام أبا حنيفة ذا التقى من عالم بالشرع والمقياس
سبق الأئمة فالجميع عياله فيما تحراه بحسن قياس

وفي كتاب آخر في مناقب الأئمة الأربعة: دفن رجل مالاً في موضع ثم نسي موضع دفنه، فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال: ليس بفقه فأحتال لك، ولكن اذهب فصل الليلة إلى الغداة! فإنك ستذكر دفينتك، ففعل الرجل فذكره قبل ربع الليل، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي ليلتك حتى يذكرك، ويحك فهلا أتممت ليلتك شكراً للّه تعالى، وقال بعضهم:

الفقه منا إن أردت تفقهاً والجود والمعروف للمنتاب
وإذا ذكرت أبا حنيفة فيهم خضعت له في الرأي كل رقاب

وقال أبو المؤيد موفق بن أحمد المكي:

هذا مذهب النعمان خير المذاهب كذا القمر الوضاح خير الكواكب
تفقه في خير القرون مع التقى فمذهبه لا شك خير المذاهب

وقال بعضهم:

أيا جبلي نعمان إن حصاكما لتحصى وما تحصى فضائل نعمان

وقال بعض من جمع «مسند أبي حنيفة»: من مناقب أبي حنيفة التي انفرد بها أنه أول من دون علم الشريعة ورتبه أبواباً، ثم تابعه مالك بن أنس في ترتيب «الموطأ» ولم يسبق أبا حنيفة أحد، لأن الصحابة رضي اللّه عنهم والتابعين لم يضعوا في علم الشريعة أبواباً مبوبة ولا كتباً مرتبة، وإنما كانوا يعتمدون على قوة حفظهم، فلما رأى أبو حنيفة العلم منتشراً، وخاف عليه الضياع دونه فجعله أبواباً وبدأ بالطهارة ثم بالصلاة، ثم بسائر العبادات، ثم المعاملات، ثم ختم الكتاب بالمواريث، وإنما بدأ بالطهارة والصلاة لأنهما أهم العبادات، وإنما ختم الكتاب

بالمواريث لأنها آخر أحوال الناس، وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط؛ ولهذا قال الشافعي رضي اللَّه عنه: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه.

وقال أبو سليمان الجرجاني: قال لي أحمد بن عبد اللَّه قاضي البصرة: نحن أبصر بالشروط من أهل الكوفة، فقلت له: إن الإنصاف بالعلماء أحسن، إنما وضع هذا أبو حنيفة فأنتم زدتم ونقصتم وحسنتم الألفاظ ولكن هاتوا بشروطكم وشروط أهل الكوفة قبل أبي حنيفة، فسكت ثم قال: التسليم للحق لعمري أولى من المجادلة بالباطل.

قال الطبراني في «المعجم الأوسط»: ثنا عبد اللَّه بن أيوب القزي ثنا محمد بن سليمان الذهلي ثنا عبد الوارث بن سعيد قال: قدمت الكوفة فوجدت أبا حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة، فسألت أبا حنيفة قلت: ما تقول في رجل باع بيعاً وشرط شرطاً؟ قال: البيع باطل والشرط باطل؛ ثم أتيت ابن أبي ليلى فسألته فقال: البيع جائز والشرط باطل، ثم أتيت ابن شبرمة فسألته فقال: البيع جائز والشرط جائز، فقلت: سبحان اللَّه! ثلاثة من فقهاء العراق اختلفوا عليَّ في مسألة واحدة، فأتيت أبا حنيفة فأخبرته فقال: لا أدري ما قالا، حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي اللَّه عنه - أن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم نهى عن بيع وشرط؛ البيع باطل والشرط باطل. ثم أتيت ابن أبي ليلى فأخبرته فقال: لا أدري ما قالا. حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت: أمرني رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم أن أشتري بريرة فأعتقها؛ البيع جائز والشرط باطل. ثم أتيت ابن شبرمة فأخبرته فقال: لا أدري ما قالا، حدثني مسعر بن كدام عن محارب بن دثار عن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه - قال: بعث النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ناقة وشرطت حملانها إلى المدينة؛ البيع جائز والشرط جائز.

قال الطبراني في «الأوسط»: حدثنا أحمد، حدثنا أبو سليمان الجوزجاني حدثنا محمد بن إسحاق عن أبي حنيفة عن بلال عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد اللَّه قال: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يعلمنا التشهد والتكبير كما يعلمنا السورة من القرآن. قال الطبراني: لم يروه عن وهب إلا بلال. تفرد به أبو حنيفة.

وقال الطبراني: حدثنا عثمان حدثنا إبراهيم حدثنا إسماعيل عن أبي حنيفة عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا أراد أحدكم أمراً فليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا

أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فقدره لي! وإن كان غير ذلك خيراً لي فاهد لي الخير حيث كان، واصرف عني الشر حيث كان، وأرضني بقضائك».

وأخرج الخطيب في «المتفق والمفترق» عن ابن سويد الحنفي قال: سألت أبا حنيفة وكان لي مكرماً قلت: أيهما أحب إليك بعد حجة الإسلام: الخروج إلى الغزاة أو الحج؟ قال: غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة.

تمّ والحمد للّه وحده، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

# فهرس المحتويات


المقامة السندسية في النسبة المصطفوية ..................................٥
الدرج المنيفة في الآباء الشريفة ..............................................١٩
مسالك الحنفا في والدي المصطفى ﷺ ...................................٣٢
نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين .........................٧٣
التعظيم والمنة في أن أبوي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في الجنة ..........................................................................................٨٥
السبل الجلية في الآباء العلية ..................................................١٢٠
خاتمة ...................................................................................١٣١
إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء عليهم السلام ..................................١٣٢
تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة رضي اللّه عنه ..............١٤٣